

أجاثا كريستي
سيدة القصر



**أجاثا كريستي**

**{1976 - 1890}**

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

**سيدة القصر**

**Passenger to Frankfurt**

بينما يدنو أحد الدبلوماسيين المضجرين في أحد المطارات النائية من سيدة جميلة معرضة للخطر، يوافق في لحظة ضعف على إقراضها جواز سفره وتصريح الإقامة، ولكنه - «ستافوردناي»- يجد نفسه متورطا في شبكة سرية دولية دون أن يدري بذلك، ولكن مخرجه الوحيد للهرب منها هو أنه يخدع هذه الكونتسّة المتسلطة والتي تملكتها فكرة السيطرة على العالم بالخداع وتسليح شباب الأرض لتحقق وتستعيد وعود وسيطرة النازي.

**ثمن الكتاب**

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان | 5000 ل.ل. | قطر | 10 ريالات |
| سوريا | 150 ل.س. | عُمان | 1.5 ريال |
| الاردن | 2 دينار | مصر | 10 جنيهات |
| السعودية | 10 ريالات | المغرب | 30 درهما |
| الكويت | 1 دينار | ليبيا | 3 دنانير |
| الإمارات | 10 دراهم | تونس | 4 دنانير |
| البحرين | 1.5 دينار | العراق | 4000 دينار |

ISBN 995338250-6

9 789953 382500

# سيدة القصر

**برنارد الأسطه**

يقدّم

الرواية المعرّبة

**سيدة القصر**

**( 52 )**

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

**أجاثا كريستي**

تعريب الأديب

**عمر عبد العزيز أمين**

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

**الإدارة العامة والتوزيع**

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف
Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب
**Passenger To Frankfurt**
( 1970 )

الغلاف بريشة الفنان
**صلاح عناني**

# - 1 -

قالت مضيفة الطائرة:

– أرجو أن تشدوا أحزمتكم..

وتباطأ ركاب الطائرة في النزول على رجاء المضيفة؛ فقد كان هناك شعور عام بأن الطائرة لا يمكن أن تكون قد وصلت إلى مطار "**جنيف**".

وكررت المضيفة رجاءها:

– شدوا أحزمتكم.. أرجوكم..

ثم جاء صوت قائد الطائرة في المذياع موضحًا باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية أنهم قادمون على فترة من الأحوال الجوية السيئة.

وتثاءب السيد "**ستافورد ناي**" واعتدل في مقعده... كان مستغرقًا في نوم عميق.. وكان يحلم في نومه بأنه يصيد السمك في أحد الأنهار الإنجليزية.. حين أيقظه صوت قائد الطائرة..

كان "**ستافورد ناي**" يناهز الخامسة والأربعين من العمر، متوسط الطول. أملس البشرة.. حليق الوجه.. يحرص في ثيابه وتصرفاته على أن يلفت إليه الأنظار.

وكان أحب ثيابه إليه في أسفاره، عباءة كتلك التي يرتديها قطاع الطرق.. سبق أن ابتاعها في "**كورسيكا**"... وكان لونها أزرق قاتمًا.. وبطانتها قرمزية. ويتدلى منها غطاء للرأس يمكن استخدامه كواق للتيارات الهوائية.

وكان السيد "**ستافورد ناي**" مخيبًا للآمال التي عقدت عليه في السلك الدبلوماسي. ولم يحقق ما كان متوقعًا له في شبابه؛ إذ كانت تعتريه نوبة مرح شيطانية ودعابة خبيثة حين يجد الجد...

وكان شخصية معروفة في الحياة العامة... وإن لم يبلغ قمة المجد والشهرة. وكان رأي الناس في "**ستافورد ناي**" أنه لن يقدر له – على الرغم من توقد ذكائه – أن يكون الرجل الآمن الوديع، وبالذات في هذه الأيام المعقدة العلاقات الخارجية،

المتشابكة الاتجاهات السياسية، الأمر الذي أدى إلى استبعاده من مناصب السفراء، وإن عهدوا إليه من حين لآخر، ببعض المهام التي تتطلب إتقان فن الدس والتآمر، ولم تكن من الأهمية بمكان. وكان الصحفيون ينعتونه بأنه "جواد الدبلوماسية الأسود".

ولم يكن أحد ليعلم ما إذا كان السيد "**ستافورد**" نفسه راضيًا عن عمله من عدمه.

ولعله لم يكن ليدري من أمر نفسه شيئًا. فلقد كانت للرجل نواحي غروره، كما كان يطيب له أن يوغل في الإضرار بالناس؛ إرضاءً لنزواته.

وكان الرجل عائداً بعد الفراغ من تقصي الحقائق في "**الملايو**". وكان يرى أن هذه المهمة تفتقر إلى التشويق؛ وذلك لأن زملاءه كانوا قد بيتوا النية مسبقًا عما سينتهون إليه من آراء، مهما يكن من أمر ما يشاهدون أو يستمعون. وكان بوده لو بعث في أعمال اللجنة الحياة، أو أثار في أذهان سائر الأعضاء ما ينحرف بهم عما التزموا به. وحتى السيدة "**ناتانيل إدج**" – المعروفة بنزواتها – لم تكن لتختلف عن زملائها.

وكان قد التقى بها من قبل في بعثة لحل مشكلة في إحدى عواصم دول "**البلقان**". وهناك لم يتورع السيد "**ستافورد**" عن التقدم في إصرار ببعض الآراء المشوقة. وألمحت بعض الصحف إلى ما كان من علاقة بين وجود السيد "**ستافورد ناي**" في تلك العاصمة البلقانية وبين ما أثير من مشكلات في "**البلقان**"، كما تحدثت عن مهمته السرية البالغة الدقة. وقد بعث أحد الأصدقاء بنسخة من هذه الصحيفة إلى السيد "**ستافورد ناي**" للاطلاع عليها ولكنه لم يفاجأ بما ورد بالصحيفة. بل انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا والسرور. كما طلب له أن يلمس مما نشر مدى بعده عن الواقع وما تردى فيه الصحفيون من خطأ. فلقد كان وجوده في "**صوفيا جراد**" راجعًا إلى اهتمام إحدى صديقاته القديمات – السيدة "**لوسي**

**كليجهورن**" – اهتماماً ملحًّا ببعض الزهور البرية النادرة، ورغبتها الشديدة في اقتناء بعضها.

*****

وعاد صوت المضيفة يتردد في مذياع الطائرة لينبئ المسافرين بأنه بسبب كثافة الضباب في "**جنيف**"، فقد تقرر التحول بمسار الطائرة إلى "**فرانكفورت**"، حيث تستأنف الرحلة بعدئذ إلى "**لندن**".

وكان الجو في استراحة المسافرين بمطار "**فرانكفورت**" دافئًا، مما حدا بالسيد "**ستافورد ناي**" إلى التخلي عن عباءته. وجلس يحتسي بعض الشراب، الجعة، ويستمع بأذن غير واعية لمختلف الإذاعات عن مواعيد قيام الطائرات إلى شتى عواصم العالم. وراح يتطلع بعينيه فيما حوله من أثاث وأناس واستقرت عيناه أخيراً على الوجه الجالس إلى جانبه على الأريكة. وقد استرعى هذا الوجه انتباهه؛ فقد بدا له أنه وجه مألوف لديه، وإن كان لم يذكر أين ومتى التقى بصاحبته. إنها لا تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها، ولها أنف أقنى جميل وشعر أسود غزير، أما هي فإنها راحت تتفرس في وجهه وقد نحت المجلة التي بيدها جانبًا. وبغتة، بادرته قائلة، بصوتها الموسيقي، وفي لكنة أجنبية خفيفة:

– هل يمكن أن نتجاذب أطراف الحديث؟

وراح يتأملها قبل أن يجيب، ولما اطمأن إلى أنها ليست من ذلك الطراز من النساء أجاب:

– ولم لا؟ لدينا متسع من الوقت، فيما يبدو.

– ضباب في كل مكان، ضباب في "**جنيف**"، وضباب في "**لندن**". لست أدري ماذا أفعل.

– هوني عليك. إنهم يقدرون مسؤولياتهم. إلى أين تذهبين؟

– كنت ذاهبة إلى "جنيف".

– إنهم سيحملونك إليها، بكل تأكيد.

– يجب أن أصل إليها فورا، فإذا حدث هذا، كان كل شيء على ما يرام. ثمة من سيلتقي بي هناك. وبهذا يمكن أن أصبح في أمان.

– أمان؟

وابتسم، قبل أن يسمعها تقول له:

– إن الأمان كلمة من أربعة أحرف، ولكنها تعني الكثير في أيامنا هذه. وتعني الكثير بالنسبة لي بالذات.. فإذا لم يتسن لي السفر إلى "جنيف" واضطررت إلى مغادرة هذه الطائرة هنا، أو اضطررت إلى أن أذهب بها إلى "لندن" دون الإعداد لذلك، فإنني أعرف أن القتل سيكون مصيري.. أظن أنك لا تصدق هذا.

– الحقيقة أنني لا أصدق.

– ولكنها الحقيقة المرة.. هناك مئات من الناس يقتلون كل يوم.

– ومن يا ترى يريد لك هذا المصير؟

– وهل يغير هذا من الواقع شيئًا؟

– كلا.

– لك أن تصدقني إذا ما أردت ذلك. إنني بحاجة ماسة إلى من يساعدني على السفر إلى "لندن" في أمان.

– ولماذا وقع اختيارك عليّ لأكون هذا الرجل؟

– لأنني أعتقد أنك تعرف شيئًا عن الموت. وربما قدر لك أن تشهد لحظة من لحظاته.

فتأملها بنظرة فاحصة، ثم قال:

– وهل ثمة من سبب آخر؟

فمدت يدها تلمس طيات معطفه الفضفاض قائلة:

– أجل هذا.

ولأول مرة أثارت اهتمامه، فسألها:

– والآن، ماذا تعنين بقولك هذا؟

– إنه رداء غير عادي – مميز الطابع. إنه مما لا يرتديه الكثيرون.

– هذا حق. إنه إحدى هواياتي.

– وهي هواية يمكن أن انتفع بها.

– ماذا تعنين؟

– إنني سأسالك شيئًا. وقد ترفض ولكني لا أظن أنك ستفعل؛ لأنني أعتقد أنك رجل تحب المخاطرة مثلي تمامًا.

فانفرجت شفتاه عن ابتسامة باهتة، وقال:

– إنني مصغ إليك.

– إنني بحاجة إلى هذه العباءة، وبحاجة إلى جواز سفرك. كما أني بحاجة إلى تذكرة سفرك إلى "لندن". إنهم سيعلنون في مدى عشرين دقيقة تقريبًا عن قيام الطائرة المتجهة إلى "لندن". ولسوف أستقل هذه الطائرة بجواز سفرك مرتدية عباءتك، وبهذا أصل إلى "لندن" في أمان.

– تعنين أنك ستنتحلين شخصيتي؟

ففتحت حقيبة يدها لتخرج مرآة صغيرة وقالت مستطردة:

– تأمل وجهك ثم تأمل وجهي لتتبين مدى ما بيننا من تشابه.

تطلع إلى وجهها، ورأى أنه وجه مألوف لديه. إنها تشبه شقيقته "باميلا" التي توفيت منذ عشرين عامًا. لقد كان الشبه بينهما كبيرًا. قال:

– إنني أدرك ما تعنين. غير أن هذا لن يخدع أحدًا.

– بكل تأكيد. ولكنك لم تفطن بعد لما أعتزم عمله. إنك تسافر واضعًا القلنسوة فوق رأسك وحول وجهك. إن كل ما عليَّ أن أفعله هو أن أقص شعري،

وأغلفه بإحدى الصحف، ثم ألقي به في سلة المهملات. وبعد ذلك، أرتدي معطفك، وأتسلم تذكرتك وجواز سفرك، وأستقل الطائرة منتحلة شخصيتك. وما لم يكن هناك من هو على معرفة وثيقة بك بتلك الطائرة - الأمر الذي أستبعده - فإن كل شيء سيكون على ما يرام. ولسوف أحرص على أن تخفي القلنسوة معظم قسمات وجهي، فيما عدا أنفي وعيني وفمي، وهي التي يتركز فيها الشبه بيننا. وسأغادر الطائرة في أمان بعد وصولها؛ لأن أحداً لا يعرف أنني كنت مسافرة بها. وسأمضي في طريقي قدماً، متخذة من زحام "لندن" ستاراً.

فابتسم السيد "ستافورد" وقال متسائلاً:

- وما المطلوب مني؟

- عليك أن تنهض من مكانك هذا، وتتوجه لشراء مجلة أو صحيفة أو هدية من قاعة المبيعات. ولسوف تترك عباءتك فوق مقعدك. فإذا ما قفلت راجعاً، اتخذت لك مقعداً آخر. وسيكون أمامك هذا القدح الذي سيوضع به مادة مخدرة..

- وبعد؟

- سيعرف الناس انك كنت ضحية لمخدر سلبت في إثره حافظة نقودك بجميع ما بها من أوراق. وسيكون من السهل عليك أن تثبت شخصيتك.

- هل تعرفين من انا؟

- كلا، ليس بعد.. إنني لم اطلع على جواز سفرك بعد.. ولا أعرف من عساك ان تكون.

- ومع ذلك تقولين إن إثبات شخصيتي لن يتعذر عليّ.

- في وسعي أن احكم على الناس من مظهرهم. ولذلك تجدني واثقة بأنك شخصية لها قدرها.

- وماذا يدعوني إلى الإقدام على هذا كله؟

– لتنقذ حياة امرأة في خطر.

– ألا ترين معي أن القصة بعيدة عن التصديق؟

– بلى، فليس من اليسير تصديقها. أتراك اقتنعت بها؟

فتأملها عن كثب قائلاً:

– أراك بمثابة الجاسوسة الحسناء في قضية مثيرة.

– ربما. ولكنني لست بالحسناء.

– ولست بالجاسوسة؟

– ربما انطبق عليّ هذا الوصف. إذ لديّ بعض المعلومات. معلومات أريد الاحتفاظ بها. معلومات لها قيمتها في نظر بلادك.

– ألا ترين أن فيما قلت مبالغة لا تتفق والمنطق السليم؟

– بلى. ولكننا في عصر لا يستبعد فيه شيء.

وعاد يتأملها. إنها تشبه "باميلا"، شقيقته، إلى حد بعيد. إن فيما تعرضه عليه ما يثير السخرية أولاً، وما ينزلق بالمرء إلى مهاوٍ من المخاطرة ثانياً. وهذا هو بالذات، ما يثير فضوله؛ لأن فيه الكثير مما يتفق مع ميوله ونزواته.. وأخيراً بادرها قائلاً:

– بودي لو عرفت ماذا يعود عليّ من قبول عرضك؟

فتفرست فيه مليا وهي تقول:

– الإثارة. مجرد التغيير والخروج عن المألوف. إنه ترياق للسأم. ومهما يكن من أمر فالكلمة العليا والأخيرة لك.

– وماذا عن جواز سفرك؟ هل يتعين عليّ أن أنتحل شخصية امرأة وأبتاع شعراً مستعاراً؟

– كلا. إنك لن تحل محلي. لن تكون بك حاجة لشيء من هذا بعد أن تعلن حقيقة شخصيتك، وأنك قد خدرت وسلبت. عليك أن تحزم أمرك، فليس ثمة

متسع من الوقت، وعليّ أن أعد نفسي لما هو آت.

– لك ما تريدين.. إنني لا أستطيع أن أرفض كل ما هو غير عادي مما يعرض لي من أمور.

– كنت أرجو أن يكون هذا هو رأيك.

وأخرج "ستافورد ناي" جواز سفره من جيبه. ووضعه في جيب معطفه الفضفاض ثم نهض عن مقعده يتثاءب ويتطلع فيما حوله، وألقى نظرة على ساعته واتجه إلى جناح المبيعات، حيث ابتاع بعض هدايا الأطفال وكتاباً مغلفاً، وقفل راجعاً إلى حيث كان جالساً. ولم يجد الفتاة ولا العباءة. ووجد الشراب حيث تركه، فالتقطه ليفرغ محتوياته في جوفه وكان مذاقه لا يختلف في شيء عن مذاقه قبل أن يوضع به المخدر.

ومشى عبر القاعة إلى ركن بعيد منها، وهو في عجب من كل ما حدث ويحدث. واتخذ مجلسه بجوار أسرة كان أفرادها يضجون بالضحك وهم يتجاذبون أطراف الحديث. وأسند رأسه إلى ظهر مقعده وهو يتثاءب. وبعد أن شرع في تصفح كتابه، شعر برغبة شديدة في النوم.. وسمع عن بعد صوت المذيع يعلن عن قرب إقلاع طائرته المسافرة إلى "لندن" – الطائرة رقم 309.

وبين صفوف المسافرين الذين نهضوا مسرعين عقب سماعهم المذياع، شوهد رجل متوسط الطول يرتدي عباءة زرقاء داكنة تكشف ثنياتها عن بطانتها الحمراء، وقد غطى رأسه بقلنسوة أخفت معظم وجهه. وبعد أن أبرز الرجل تذكرة سفره، اجتاز الباب رقم 9 . ثم سمع صوت المذياع يعلن:

– هل للآنسة "دافن تيودوفانوس"، المسافرة إلى "جنيف"، أن تتفضل بالحضور إلى مكتب الطيران. إن المسافرين إلى "جنيف" سيصلون إليها عن طريق "أثينا". إن الطائرة تتأهب الآن للإقلاع.

وتوالت النداءات لمختلف المسافرين إلى "اليابان"، و"مصر"، و"جنوب

**إفريقيا"** . وكان من بين المسافرين إلى **"جنوب إفريقيا"** السيد **"سدني كوك"** ، الذي دعي للتوجه إلى مكتب الطيران؛ حيث توجد رسالة له. وفي ركن من المكان كانت هناك فتاة صغيرة تتأمل ذلك الرجل الذي يغط في نومه، مسنداً رأسه إلى ظهر مقعده. وممسكًا بدمية لحيوان الـ **"اللاما"** .

ومدت الفتاة الصغيرة يدها صوب الدمية ونهرتها أمها قائلة:

ـ **"جوان"** إياك أن تفعلي هذا. إن السيد مستسلم للنعاس.

ـ ترى ما وجهته؟

ـ ربما كانت **"أستراليا"** أيضًا، كما هي وجهتنا.

ـ وهل له ابنة صغيرة في مثل سني؟

ـ أعتقد هذا.

وتأملت الفتاة الدمية في حسرة. وكان السيد **"ستافورد ناي"** ما زال يغط في نومه، مستمتعًا بأحلامه المختلفة. ولم يكن قد سمع من إعلانات المذياع سوى أولها الخاص بالآنسة **"دافن تيودوفانوس"** ، ثم استسلم لنوم عميق.

## - 2 -

بعد أن أعد السيد **"ستافورد ناي"** لنفسه قدحًا من القهوة، راح يتصفح بريد الصباح، ولم يجد به شيئًا ذا أهمية خاصة. وألقى بالرسائل مع غيرها فوق المنضدة ليتفرغ إلى قهوته وإفطاره. ثم عاد ليلتقط الرسائل التي فضها عند وصوله في ساعة متأخرة من الليلة الماضية، وكان يبتسم وهو يعيد قراءة إحداها قائلاً:

ـ الحادية عشرة والنصف، إنها لساعة مناسبة. يحسن بي أن أعيد التفكير في بعض الأمور، مع الاستعداد لـ **"شيتوبند"** .

وبعد قليل، غادر بيته إلى الشارع، ومشى عبر منتزه **"جرين بارك"** في طريقه إلى **"هوايتهول"** . وكان منشرح الصدر يرى من الحياة جانبها المشرق. وبدأ

يستعرض كل شيء عن "شيتويند". إن "شيتويند" أحمق مافون. إنه واجهة حسنة، وشخصية تبدو مهمة، وله ذهن مدقق مرتاب، وهو واثق بأنه سيتمتع بهذا اللقاء.

ووصل إلى "هوايتهول" متأخراً بضع دقائق عن الموعد المحدد، وألفى "شيتويند" جالساً إلى مكتبه وأمامه مختلف الأوراق. واستقبله "شيتويند" مبتسماً، مرحباً، وهو يقول:

– مرحبا، "ناي". عود سعيد؟ كيف وجدت بلاد "الملايو"؟

– حارة.

– هذا هو المفروض فيها. أعتقد أنك كنت تعني مناخًا، وليس سياسة؟

– مناخًا، بداهة.

واتخذ له مقعداً. واستطرد المضيف في أسئلته:

– هل توصلت إلى بعض النتائج؟

– نتائج لا تكاد تذكر. لقد بعثت بتقريري. كيف حال "لازنباي"؟

فقال له "شيتويند":

– مصدر مضايقة كالعهد به. إنه لن يغير من شأنه.

– إن هذا أكثر مما يرجى منه. أما من أنباء أخرى؟

– كلا لا جديد.

– لم أفهم من رسالتك لماذا رغبت في هذه الزيارة؟

– لمجرد استعراض بعض الأمور معك، فربما تكون قد جئتنا ببعض التوجيهات الخاصة، مما يمكن أن نعد له ونتأهب للإجابة عليه في مجلس العموم. أي شيء من هذا القبيل. لقد عدت جواً، أليس كذلك؟ يخيل إليّ أنه صادفتك بعض المتاعب.

واكتسى وجه "ستافورد ناي" بالقناع الذي أعده لهذا الموقف. قناع الجد والضيق معًا. ثم قال:

– إذن فقد سمعت بما حدث؟

– أجل، أجل. هذا بديهي. يا له من موضوع عجيب.

– لقد أولته صحف الصباح أهمية بالغة.

– لعلك كنت تفضل الايحدث هذا؟

– إن حدوثه لرجل في مثل سني ومركزي، يظهرني بمظهر الغر الأبله.

– ماذا حدث على وجه التحديد؟ لقد دار بخلدي أن الصحيفة بالغت في عرض الحقائق.

– هذا دأب الصحف دائمًا. وأنت تعرف مدى ما يكتنف هذه الرحلات من ملل. قيل إن الضباب كان كثيفًا في "جنيف"، مما استوجب تغيير مسار الطائرة إلى "فرانكفورت"، حيث مكثنا في الانتظار ساعتين كانتا مبعثًا للسأم والضجر.

– وماذا حدث إبان هذه الفترة؟

جلست أتحايل على ملل الانتظار بتناول بعض الشراب،. وقراءة ما كنت أحمل من صحف ومجلات، ثم رأيت أن أتوجه لابتياع قصة بوليسية، ودمية لإحدى بنات إخوتي. وعدت لأجرع ما تبقى من كاسي وأشرع في قراءة قصتي الجديدة وكان أن استغرقت في النوم، وأعتقد أن هذا أمر طبيعي. وكنت مستسلمًا للنعاس بحيث لم أسمع شيئًا عن قرب قيام طائرتي، مع أنني كنت أسمع دائمًا كل نداء في أسفاري من قبل مهما كنت نائمًا. وصحوت من نومي، أو قل عدت إلى صوابي، لأجد من يقوم على رعايتي طبيًّا. وكان واضحًا أن شخصًا ما قد دس لي منومًا في شرابي أثناء غيابي عن مقعدي لشراء الكتاب والدمية.

– إنه لأمر يدعو للدهشة، أليس كذلك؟

– بلى، وهو ما لم يحدث لي من قبل.

وقد اكتشفت سرقة حافظة نقودي بما فيها من أوراق كان من بينها جواز سفري. ومع ذلك فلم يتعذر عليّ إثبات حقيقة شخصيتي بفضل ما كان معي من رسائل وأوراق أخرى في بعض جيوبي الداخلية.

– ومع ذلك، فهو حادث مؤسف، وخصوصا لرجل في مثل مركزك.

وكان صوت "شيتويند" مشوبًا بما ينبئ عن عدم رضائه عما حدث واستطرد قائلاً:

– مهما يكن من أمر فانت لا لوم عليك ولا تثريب؛ فمن الممكن أن يقع هذا لغيرك.

– ومع ذلك فقد لقنت درسًا قاسيًا.

– ألم يدر بخلدك أن ثمة من كان يهدف إلى الاستيلاء على جواز سفرك بالذات؟

– لا أعتقد هذا. ولماذا؟ وفيم هذا العناء؟

– هل التقيت في "فرانكفورت" بشخص لك به سابق معرفة؟

– كلا.

– ألم تتبادل حديثًا مع أحد؟

– مجرد حديث عابر مع البعض حول موضوعات تافهة.

– إن المرء يميل إلى الاعتقاد بأن ثمة شيئًا ما وراء هذه الأحداث.

– لست أرى ما يمكن أن يختفي وراء ما وقع لي. وعلينا ألا نبالغ في تصور أشياء أبعد ما تكون عن الواقع. دعنا من هذا الحديث. كيف حال "ليلاند" العجوز؟ لقد سمعت عنه الكثير هناك.

وتجاذب الرجلان الحديث طوال عشر دقائق، نهض السيد "ستافورد" بعدها منصرفًا.

وغادر الغرفة منشرح الصدر، يحيي هذا وذاك ممن التقى بهم في الدهليز. وبعد

انصرافه اتصل "شيتويند" بسكرتيرته تليفونيًا، وطلب إليها أن تدعو الكولونيل "مونرو" للحضور إلى مكتبه.

وأقبل الكولونيل "مونرو"، وفي صحبته رجل في منتصف العمر. وقال:

– لست أدري ما إذا كان لك سابق معرفة بـ"هورشام" من رجال الأمن؟

– أعتقد أننا التقينا من قبل.

واستطرد الكولونيل "مونرو" قائلاً:

– لقد كان "ناي" مجتمعًا بك، أليس كذلك؟ ماذا عن تلك القصة التي جرت أحداثها في "فرانكفورت"؟ أعني، هل من جديد جدير بالاهتمام؟

لا أظن، إنه جد آسف لما حدث.

فأومأ الرجل المدعو "هورشام" برأسه قائلاً:

– آسف لأن ما حدث يظهره بمظهر الغافل، أليس كذلك؟

– بلى، وإن كان قد حاول أن يهون من الأمر.

فانبرى "هورشام" قائلاً:

– غير أنه ليس بالغر الأحمق كما نعرف عنه، أليس كذلك؟

– إن مثل هذه الأحداث ليست بالمستبعدة، بصفة عامة.

فقال الكولونيل "مونرو":

– أجل، أجل. ادرك هذا. غير أنني كنت أرى في "ناي" دائمًا، أنه لا يرجى منه خير، وأنه قد يجانبه الصواب في الكثير من آرائه. ولكنه مع ذلك، ليس بالرجل الغافل. ألم يدر بخلدك أن ثمة ما يثير الشك فيما حدث؟

وكانت الجملة الأخيرة موجهة إلى "هورشام" الذي قال:

– من جانبه؟ لا أظن ذلك.

– هل توليت فحص الموضوع بأسره يا "هورشام"؟

– لم يكن لدينا متسع من الوقت للتركيز على جميع الاحتمالات. لكننا

نعرف أن جواز سفره قد استعمل.

– استعمل؟ وكيف كان ذلك؟

– في مطار "هيثرو"، هنا في "لندن".

– هل تعني أن أحداً ما قد انتحل شخصية السيد "ستافورد ناي"؟

– إلى حد ما. وجدير بالذكر أنه لم يكن قد ورد لنا إخطار عن فقد الجواز؛ لأن السيد "ستافورد" لم يكن قد استفاق بعد ليتبين ما حدث.

– بمعنى أن السارق قد استغل جواز السفر في دخول "إنجلترا"؟

– أجل، هذا هو المفروض. وهذا ما يمكن أن يعد تفسيراً لما حدث في استراحة مطار "فرانكفورت"، لقد دس المخدر في شراب السيد "ستافورد"، لسرقة جواز سفره.

فقال "شيتويند":

– من المفروض أن المختصين يتفرسون مليًّا في صور الجواز الفوتوغرافية وفي وجه حامله.

فقال "هورشام":

– لابد وأن يكون هناك وجه شبه بين المختلس للجواز وبين صاحبه الأصلي. فضلاً عن أنه لم يكن ثمة ما يثير الشك في احتمال وقوع شيء من هذا القبيل. وغني عن البيان، أنه ما لم يحدث شيء يدعو الضابط المختص لإمعان النظر في جواز ما فإنه يكتفي بإلقاء نظرة عابرة في زحمة المسافرين الوافدين. والبحث جار لكشف النقاب عن سر استعمال هذا الجواز.

– وما رأيك الخاص؟

– لم أنتهِ بعد إلى رأي معين؛ لأنني لا أحب القفز إلى النتائج دون روية.

وبعد أن غادر "هورشام" الغرفة، قال الكولونيل "مونرو":

– كلهم سواء لا يكشفون عن آرائهم قبل الأوان. هذا هو شأن رجال الأمن.

فعقب "**شيتويند**" قائلاً:

– هذا طبيعي؛ لأنهم يخشون الوقوع في الخطأ.

– إن "**هورشام**" رجل كفء، وهو موضع ثقة جميع رؤسائه.

## - 3 -

عاد السيد "**ستافورد ناي**" أدراجه إلى مسكنه. واستقبلته امرأة بدينة بباب المطبخ بقولها:

– حمداً لله على سلامة العودة. يا لتلك الطائرات المقيتة. إن السفر بها غير مأمون العواقب.

– أجل يا سيدة "**ووريت**". كان هناك تأخير طال أكثر من ساعتين.

– إنني لا أحب أن أسافر بها.

وبعد أن سردت على مسامعه ما أعدته له من أنواع الطعام للغداء، وأطرى ذوقها فيما وفقت إليه من ألوان، عادت السيدة "**ووريت**" إلى مواصلة عملها قريرة العين. ثم سمعها تقول له:

– لعلك تقر ما فعلته من تسليم ثيابك إلى الرجل الذي قدم لتسلمها، مع أنك لم تحطني علماً بذلك.

– فتوقف السيد "**ستافورد**" أمام باب مخدعه متسائلاً:

– أية ثياب؟

– حلتان كما قال الرجل. لقد قال إنه موفد من شركة "**تويسي وبوني**" لتنظيف الملابس. لقد سبق أن اختلفنا مع شركة "**هوايت سوان**"، على ما أذكر.

– حلتان؟ ما أوصافهما؟

– إحداهما الحلة التي كنت ترتديها عند عودتك من الخارج، ولم يكن لدي أدنى شك في أنها بحاجة إلى التنظيف. ثم رأيت أن تكون الثانية هي الحلة الزرقاء

التي لم يعهد بها للتنظيف منذ فترة طويلة.

وكانت السيدة "ووريت" تتحدث حديث الواثق بأنها أحسنت صنعًا. غير أنها سمعت السيد "ستافورد" يعقب بقوله:

– إذن، فقد فاز هذا الرجل المجهول بالحلتين؟

وبدأ الشك يساور السيدة "ووريت" التي قالت:

– أتراني أخطأت؟

– إن الحلة الزرقاء لا تعنيني في كثير أو قليل. أما الأخرى التي كنت أرتديها عند عودتي من الخارج...

– لست أجد ضيرا من تنظيفها، وبالذات لأنها لا تناسب هذا الفصل من السنة. ثم إن الرجل قال إنك اتصلت بهم تليفونيًا وحددت لهم أوصاف الحلتين.

– وهل دخل الرجل غرفة نومي لحملهما؟

– أجل، يا سيدي. لقد رأيت أن هذا أفضل.

– عظيم. عظيم جداً. رائع.

وخطا إلى غرفة نومه يجيل النظر فيما حوله.

ووجد أن السيدة "ووريت" لم تغفل شيئًا ولم تدخر وسعًا في العناية بنظافتها وحسن إعدادها. واتجه إلى الدولاب يتفقد ما بداخله. وتبين أن الرجل أيا كان، قد حرص على الا يترك ما ينم عن عبثه بالأدراج بحثًا عما يريد، وأنه قد حمل معه الحلتين اللتين جاء في طلبهما.

وجلس السيد "ستافورد" يستعرض في ذهنه جميع الاحتمالات واستقرت عيناه على الدمية الموضوعة فوق المنضدة المجاورة للفراش. وأثارت رؤيتها في ذهنه خواطر شتى.

فنهض إلى التليفون يدير قرصه، قائلاً:

العمة "ماتيلدا" "ستافورد" يتحدث إليك.

– إذن فقد عدت يا ولدي العزيز. إنني جد مسرورة بعودتك. لقد قرأت بالصحف عن الكوليرا في "**ماليزيا**" . أرجو أن أراك قريبًا ولا تعتذر بكثرة مشاغلك.

– ما رأيك في الأسبوع القادم؟

– كلا، فالغد أفضل.

– آسف؛ إذ لديّ من الأعمال ما لن يتيح لي زيارتك قبل الأسبوع القادم. كيف حال "**سيبيل**" ؟

– إنها فتاة شريرة، ولكنها مسلية.

– لقد ابتعت لها دمية، أرجو أن تحوز إعجابها.

واستمع إلى العمة "**ماتيلدا**" وهي تذكره بمواعيد القطارات، وتسأله أن يرسل إليها بضعة ألوان من الجبن وغيره.

وبعد انتهاء المكالمة مباشرة، رن جرس التليفون، فرفع السيد "**ستافورد**" السماعة ليستمع إلى المتحدث وهو يقول:

– ألو؟ "**ستافورد**" ؟ "**إريك بيو**" يتحدث إليك. لقد علمت بعودتك من "**ماليزيا**" – ما قولك في تناول العشاء معي الليلة؟

– لكم يسعدني هذا.

– حسن – بنادي "**ليمبيتز**" – في تمام الثامنة والربع؟

وبعد الفراغ من هذه المكالمة، أقبلت السيدة "**ووريت**" قائلة:

– ثمة زائر بالطابق الأرضي.

– ومن عساه أن يكون؟

– يدعى "**هورشام**" يا سيدي.

– "**هورشام**" ؟

ودهش السيد "**ستافورد ناي**" لهذه الزيارة المفاجئة.

وهبط الدرج إلى قاعة الاستقبال الكبيرة، حيث وجد "**هورشام**" الذي بادره قائلا:

– أرجو ألا أكون قد أزعجتك.

– لا عليك من هذا. ومد له يده بصندوق السجائر مستطرداً:

– تفضل بالجلوس. هل من خدمة؟

وبدأ "**هورشام**" الحديث بقوله:

– إن السيد "**جوردون شيتويند**" رجل لطيف المعشر، وقد كنت مجتمعًا به بصحبة الكولونيل "**مونرو**"، إثر انصرافك من مكتبه مباشرة – ولقد وفقنا في طمأنته.. إنهم قلقون من أجلك.

– من أجلي؟

وراح السيد "**ستافورد**" يدخن في هدوء وهو يتطلع مليًّا إلى "**هنري هورشام**"، متسائلاً، فقال هذا:

– هل لي أن أستفسر عن خطوتك التالية؟

– بكل سرور. إني مسافر للإقامة مع عمتي، السيدة "**ماتيلدا كليكهيتون**". وسأزودك بالعنوان إذا أردت.

– أعرفه. وإنها لفكرة صائبة.

– وهل هذا هو ما يراه كل من الكولونيل "**مونرو**" والسيد "**شيتويند**"؟

– إنك خير من يعرف يا سيدي. إنهم في حيرة بشأنك – أيثقون بك أم لا يثقون؟

– يثقون بي؟ ماذا تعني؟

وكان السيد "**ستافورد ناي**" محتداً وهو يستوضح السيد "**هورشام**" عما يعنيه، بينما راح هذا يبتسم في هدوء قائلا:

– سيدي.. من المتداول عنك أنك لا تأخذ الأمور مأخذ الجد.

– فهمت. لقد خيل إليّ أنك تعني شيئًا آخر.

– كلا يا سيدي. هذا هو رأيهم فيك – حيل للدعابة من حين لآخر.

– ما أظن أن في وسع المرء أن يكون جادًا على طول الخط.

– غير أن هذا قد بلغ حد المخاطرة.

– إنني لا أعرف عم تتحدث؟

– سأصارحك بكل شيء. قد يقع أحيانًا يا سيدي، ما ليس في الحسبان، فتنحرف الأمور بما لم يقدر لها. وقد تمتد يد القدر أحيانًا، أو قل يد إنسان – كما حدث..

فقاطعه السيد "ستافورد ناي" بقوله:

– لعلك تلمح إلى ذاك الضباب في "جنيف"؟

– تمامًا، يا سيدي، لقد كان لهذا الضباب أثر في تغيير خطط البعض، وكان أن وجد إنسان ما نفسه في مأزق حرج.

– خبرني بكل شيء.. فإنني أريد أن ألم بكل ما تعرف.

– لقد تخلف أحد المسافرين حينما غادرت طائرتك مطار "فرانكفورت" بالأمس. وكنت تغط في نوم عميق بعد أن أنهيت شرابك واتخذت لك مجلسًا في ناحية من استراحة المطار، وكانوا يواصلون النداء باسم هذه المسافرة المتخلفة قبل إقلاع الطائرة.

– ترى ماذا كان من أمرها؟

– بودنا لو عرفنا الإجابة عن هذا السؤال. وجدير بالذكر، أن جواز سفرك – رغم تخلفك – قد قدم إلى موظفي مطار "هيثرو" بالأمس.

– وأين هو الآن؟ هل افترضتم أنه أعيد إليّ؟

– كلا. إنه افتراض يتجاوز كل الحدود. لقد كان لهذا المخدر أثره المرتقب دون أن يكون له أي أثر سيئ عليك صحيًا.

– لقد أصابني بصداع شديد.

– هذا ما لم يكن في وسعك تجنبه، في مثل تلك الظروف.

– مادمت، فيما يبدو، ملمًّا بكل شيء، ترى ماذا كان يحدث، لو أنني – وأنا أقول لو – رفضت العرض الذي قدم إليّ؟

– كان الرفض يعني النهاية لـ"ماري آن".

– "ماري آن"؟ ومن عساها أن تكون؟

– إنها الآنسة "دافن تيودوفانوس".

– هذا هو الاسم الذي يخيل إليّ أنني سمعته في مذياع المطار.

– أجل، فهذا هو اسمها الذي كانت تتسمى به في سفرها. إننا ندعوها باسم "ماري آن".

– وما حقيقة أمرها؟ هل لي أن أعرف؟

– إنها قمة في عملها.

– وما عملها؟ أهي معنا أم مع غيرنا؟ وهذا بشرط أن تحدد مفهوم كلمة "غيرنا" لديك.

– أدرك ما تعني. وأعتقد أنه ليس من اليسير تحديد ذلك.

فاطرق السيد "ستافورد ناي" قليلاً قبل أن يقول:

– "ماري آن". إنه اسم لا يتمشى مع اسمها الحقيقي – "دافن تيودوفانوس".

– إن أمها يونانية. ووالدها إنجليزي، وجدها كان من رعايا "النمسا".

– ترى ماذا كان يمكن أن تتعرض له لو لم أوافق على إعارتها رداء ما؟

– كان يمكن أن تقتل؟

– حقًّا؟!

– أجل. إن ما يقع في مطار "هيثرو" يقض مضاجعنا. ولو كانت هذه الطائرة قد واصلت طريقها إلى "جنيف"، لجرت الأمور على خير ما يرام. ولكانت صاحبتنا

قد غادرتها في رعاية كاملة. أما وقد تغير مسار الطائرة، فإنه لم يكن من المستطاع اتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها.

– لقد أثرت في نفسي القلق عليها. أرجو أن تكون بخير؟

– هذا ما نرجوه. إننا لم نسمع ما يفيد العكس.

فقال السيد "ستافورد ناي"، معقبًا:

– قد يكون فيما سارويه لك، ما يفيدكم.

فقد قام بزيارتي أثناء وجودي في الصباح بـ"هوايتهول"، رجل زعم أنه من شركة تنظيف وأخذ حلتين، كانت إحداهما تلك الحلة التي كنت أرتديها بالأمس. وثمة أكثر من احتمال يفسر به هذا الفعل.

– لعله كان يبحث عن شيء معين.

– هذا ما أعتقده، وإن كان قد بالغ في حرصه على الآ يشعرني بشيء غير طبيعي. حقيقة أنه أعاد تنظيم أدراجي بدقة، ولكنه لم يعد الأشياء إلى مكانها الذي كنت قد تركتها به. ترى عم كان يبحث؟

– لا أستطيع أن أجزم بشيء. إن ثمة أمورًا تجري – هذا ما لا شك فيه وهذه الأمور تجري هنا وهناك. وقد تكون صادرة عن دوافع سياسية أو دوافع مالية.. إن لك معرفة بالسيد "روبنسون"، أليس كذلك؟ أم لعل له بك معرفة فيما أظن؟

فأطرق السيد "ستافورد" قبل أن يجيب:

– "روبنسون"؟ "روبنسون"، إنه اسم إنجليزي جميل. ثم تطلع إلى "هورشام"، مستطردًا:

– مكتنز الوجه، أصفره؟ بدين ؟ له نفوذه في كثير من الصفقات المالية بصفة عامة؟ أتراه هو الآخر في صف الملائكة؟

– لست أعرف شيئًا عن الملائكة. فقد أخذ بيدنا ليخرج بنا من مأزق حرج أكثر من مرة في بلادنا هذه. ولا يتصل به من هم من طراز السيد "شيتويند"؛

لأنهم يعتقدون أنه يكلفهم كثيراً.

فقال "**ستافورد**":

– حبذا لو زدتني إيضاحًا. لقد اختلط الأمر عليّ..

وتطلع "**ستافورد**" إلى "**هورشام**" في فضول. فأومأ هذا برأسه نفيًا وهو يقول:

– إننا لا نعرف شيئًا على وجه التحديد.

– ترى بماذا يمكن أن أحتفظ في مسكني، مما من شأنه أن يثير فضول المشوقين إلى العثور عليه؟

– أصارحك القول، بأنه ليست لديّ أية فكرة عن ذلك.

– إنه لأمر مؤسف. إن كل ما كان بيني وبين "**ماري آن**" هذه هو أنها سألتني أن أعينها على إنقاذ حياتها، وأخذت مني ولم تعطني شيئًا أحتفظ به لها:

– إذا لم تنشر صحف المساء شيئًا عنها، فإنك تكون فعلاً قد أنقذت حياتها.

– وبهذا تختتم القصة فصولها.. يا للأسف فلقد استبد بي الفضول. لكم كان بودي أن أعرف المزيد.

# - 4 -

ابتدر "**إيريك بيو**" صديقه بقوله:

– هل لي أن أحدثك بشيء؟

وتأمله السيد "**ستافورد ناي**"، الذي كانت له معرفة سابقة بـ"**إيريك بيو**"، امتدت أعوامًا. ولم تكن العلاقة بين الرجلين وثيقة؛ لأن السيد "**ستافورد**" كان يرى في "**إيريك**" شخصية مملة. غير أن الرجل كان من الأصدقاء المخلصين للسيد "**ستافورد**"، ومن ذلك الطراز الذي يحب أن يدس أنفه في شئون الناس.

استمع إليه "**ستافورد**" وهو يستطرد متسائلاً:

– لقد عدت بعد انتهاء مؤتمر "**ماليزيا**"، أليس كذلك؟

– بلى.

– هل وعيت من الأمور ما كان له أهمية خاصة؟

– كان كل شيء عاديًا. ومضى المؤتمر قدما كما كان مقدراً له. إن هذه المؤتمرات الزاخرة بالخطب الملتزمة بخط سير معين، المعروفة النتائج، تضجرني وتبعث في نفسي الملل.

وتحدث "**إيريك بيو**" عما يخطط له الصينيون ويعتزمون القيام به. فعقب السيد "**ستافورد**" على ذلك بقوله:

– لست أعتقد أنهم يدبرون أمرًا. هذه مجرد شائعات، إن "**ماو**" العجوز معنيّ بمقاومة مرضه ومن يتآمرون عليه.

– وماذا عن النزاع العربي – الإسرائيلي؟

– إنه يسير في طريقه المرسوم. ومهما يكن من أمر، فما العلاقة بين هذا وبين "**ماليزيا**"؟

– إني لم اكن أركز على "**ماليزيا**" بالذات.

– ماذا بك؟ وفيم هذا التجهم؟

– كنت أتساءل عما إذا كنت قد قمت بشيء يلطخ ملف خدمتك؟

فحملق السيد "**ستافورد ناي**" إلى وجه محدثه دهشًا وهو يقول:

– أنا؟

– إنك خير من يعرف نفسه. إنك تحب أحيانًا أن تعبث بمشاعر الناس، لتسخر منهم.

– لقد أقلعت عن ذلك أخيراً. ترى ماذا سمعت عني؟

– سمعت ببعض المتاعب التي حدثت في الطائرة التي كان مفروضًا أن تستقلها في عودتك.

– وممن سمعت بهذا؟

– من "**كارتيزون**".

– يا له من عجوز مخرف يتخيل من الأمور ما لم يحدث على الإطلاق.

– أعرف عنه هذا. ولكنه، في هذه المرة، كان ينقل عن "**وينترتون**"، فيما أظن.

– وماذا سمع منه؟

– إن هناك حلقة من الجاسوسية، يشفق منها على بعض الناس.

– وماذا يرون فيّ – هل أنا جاسوس آخر؟

– أنت تعرف أنك لا تتحرى الدقة فيما يصدر عنك، جريًا وراء ولعك بالدعابة.

– يا صديقي. إن رجال السياسة والدبلوماسيين ومن هم على شاكلتهم، قوم متزمتون، نزاعون إلى الانطواء على أنفسهم. وهذا هو السر في ولعي بإثارة جمودهم من حين لآخر.

– إنني أشفق عليك من هذا الولع. إنهم يريدون توجيه بعض الأسئلة إليك عما حدث بتلك الطائرة العائدة إلى "**لندن**" ويبدو أنهم يعتقدون أنك لم تصدقهم القول.

– إذن، فهذا هو رأيهم. رائع. إنني سأضاعف من شكوكهم.

– إياك أن تفعل.

– إنها فرصتي.

– استمع إليّ. أرجو ألا تسيء إلى مستقبلك بهذا الانقياد في غير تبصر لذاك الولع بالدعابة والهذر.

– لقد ضقت ذرعًا بكل هذه القيود الوظيفية.

– وهذا الاستهتار هو الذي كان عائقًا في سبيلك، فلم تبلغ من المناصب الرفيعة ما بلغه زملاؤك.

– هون عليك، يا صديقي. إن حب الدعابة ليس جرمًا.

ولم يجد **"إيريك"** بدًّا من أن يلوذ بالصمت ويكف عن مجادلة صديقه، وهكذا صفا جو الأمسية واستمتع الرجلان بعشائهما. وعاد **"ستافورد"** إلى منزله سيرًا على الأقدام عبر **"جرين بارك"**. وبينما كان يخطو عبر الطريق، مرقت بجواره سيارة مسرعة كادت تدهمه، لولا أنه أسرع بالقفز إلى الإفريز لينجو بحياته. وسرعان ما اختفت السيارة بعيداً، وتركته يتساءل عن السر في محاولتها القضاء عليه.

ولكن لم كل هذا الذي يتعرض له؟ فها هو مسكنه يعبث به، وها هي حياته تتعرض للخطر.

وبدأ يشعر بالخطر المحدق به. ودلف إلى مسكنه، والتقط بريد المساء وألقى نظرة عليه. وراح يتصفح مجلة **"لايف بوت"** المشترك فيها. وكان يطوي الصفحات وهو شارد الذهن. ثم توقف فجأة، بعد أن استلفت نظره ذاك الشيء المودع بين الصفحات. وتأمله ليتبين أنه جواز سفره يعاد إليه، وقد ألصق به طابع العودة إلى مطار **"هيثرو"** بـ**"لندن"**. إذن فقد عادت إلى **"لندن"** في سلام، ورأت أن تعيد إليه جواز سفره بعد استعماله. ترى أين هي الآن؟ كم يود لو تسنى له أن يعرف.

وتساءل عما إذا كان سيقدر له أن يلتقي بها ثانية. من عساها أن تكون؟ ورأى أنه أشبه بالمشاهد لمسرحية يجلس في انتظار الفصل الثاني ولكن.. فيم هذا الترقب لرفع الستار عن الفصل الثاني؟ إنها ليست من الجمال إلى هذا الحد الذي يجعله يتوق إلى لقائها إذا ما رفع الستار عن الفصل الثاني من هذه القصة. ومع ذلك، فإن هذا الغموض الذي يكتنفها هو الذي أثار في نفسه هذا الفضول. ولكنه لا يحب أن يمضي أيامه في حيرة وتساؤل. ورأى أنه يجب أن يفعل شيئًا. فنهض يحرر إعلانًا لنشره بالصيغة التالية:

( مسافر إلى **"فرانكفورت"**، 3 تشرين الثاني ( نوفمبر ). نرجو الاتصال برفيق

السفر في "**لندن**"، فإذا ما قدر لها أن تقع عيناها على هذا الإعلان، فإنها ستدرك مغزاه وفحواه. ومن هنا، يمكنها أن تتصل به، لأنها تعرف اسمه وعنوانه من جواز سفره. وقد لا ترى الاتصال به، على الرغم من ذلك، ولعلها قد رحلت عن "**لندن**" ثانية بعد أن أنجزت ما قدمت من أجله.

وفي الصباح التالي، بينما كان في طريقه إلى منزله، مجتازاً متنزه "**سانت جيمس**"، حاول أن يستعيد صورة شقيقته "**باميلا**". لقد انقضت فترة طويلة منذ وفاتها.. إنه يذكر كل شيء عنها، وإن كان لا يستطيع أن يتمثل صورة وجهها بكل دقة. وأثار ذلك حنقه وتوقف عن مواصلة سيره، بينما كان على وشك عبور الطريق الخالي من الحركة. اللهم إلا من سيارة قديمة من طراز "**ديمار**"، كانت تتحرك على مهل. وعجب من أمر نفسه، ومن شرود ذهنه، ومن هذا التوقف عن السير بدون سبب أو داع. وخطا ليعبر الطريق، فما كان من السيارة الـ"**ديمار**" إلا أن اندفعت بسرعة فائقة في اتجاهه، كحيوان مفترس يبغي الانقضاض عليه، وبفضل سرعة حركته كرياضي قديم تمكن من القفز إلى الإفريز المقابل، حيث وقف يتطلع إليها في دهشة من المفاجأة وهي تختفي عن ناظريه.

بينما كان الكولونيل "**بايكواي**" جالساً في غرفة مكتبه بـ"**بلويزبري**"، تحيط به سحب الدخان المتصاعد من سيجاره الضخم، اتصل به تليفون سكرتاريته ليعلن إليه أن الوزير السيد "**جورج باكهام**"، قد قدم لزيارته.

وأقبل السيد "**جورج باكهام**" على الكولونيل "**بايكواي**" قائلاً:

– إننا لم نلتق منذ فترة طويلة، فيما أعتقد.

– تفضل بالجلوس، إليك بسيجار.

– كلا، شكراً، ليست بي رغبة الآن.. أعتقد أن "**هورشام**" كان في زيارتك؟

– أجل... وأحاطني علماً بما لديه.

– لقد رأيت أن هذا أفضل. أعني أن يأتي لزيارتك. إن مثل هذه الأمور يجب

أن تعالج في إطار من الكتمان.

– هذا ما لن يكون.

– ماذا؟!

– أعني أننا مهما توخينا الحذر، فإن كل شيء سوف يعرف ويذاع.

– ترى ما مدى ما توصلتم إليه من معلومات عن هذا الموضوع؟

– كل شيء.. أليس هذا هو عملنا؟

– يا له من حادث يدعو للدهشة ويثير التساؤل!! هل لك معرفة شخصية بالسيد "ستافورد ناي"؟

وبدأ الكولونيل "بايكواي" يضيق ذرعًا بهذا الحديث؛ لأن له رأيًا خاصًا في أسلوب تفكير زائره. إنه رجل حذر، يمعن الفكر ويبالغ في التصور، وإن كان ليس بالرجل المتالق الذكاء. ثم سمع الوزير يقول:

– إننا لا ننسى ما كان من أمر..

فابتسم الكولونيل، وراح يعدد أسماء بعض من خيبوا الظن فيهم وأردف السيد "جورج" في أسى:

– وهكذا، لم تصبح الثقة المطلقة في الآخرين ممكنة. إليك مثلاً "ستافورد ناي". إنه من أسرة عريقة أبًا عن جد.

فعقب الكولونيل "بايكواي" بقوله وهو يكاد يكون مغمض العينين:

– غالبًا هكذا.. ذرية خاطئة في الجيل الثالث.

– كما أنني أرى فيه رجلاً أبعد ما يكون عن مواطن الجد، نزاعًا إلى الدعابة والهذر.

– نعم، إنه مغرم بالعبث بمشاعر الناس ومباغتتهم بما لايتوقعون؛ لأنه يستمرئ متابعة رد الفعل في أنفسهم.

– وهل في هذا التفسير رد مقنع؟

– ولم لا؟ إنها هواية مثل الهوايات الأخرى.

– لست أستبعد ذلك. ولو كنت في مكانك، لما تركت القلق يستبد بي .

*****

نحى السيد "**ستافورد ناي**" قدح القهوة جانبًا، ثم التقط صحيفته اليومية يتصفحها، موليًا عمود الإعلانات الشخصية اهتمامًا خاصًا، كما فعل طوال الأيام السبعة الماضية. أخيرًا استقرت عيناه على الكلمات التالية: "مسافر من "**فرانكفورت**". الخميس 11 تشرين الثاني (نوفمبر)، جسر "**هنجرفورد**" الساعة 7.20" .

وأعاد السيد "**ستافورد**" قراءة الإعلان «الخميس، 11 تشرين الثاني (نوفمبر)». إنه اليوم.

واضطجع الرجل في مقعده وراح يرتشف مزيداً من القهوة. لقد أحيا الإعلان في نفسه موات الآمال.

ونهض إلى المطبخ، حيث ألفى السيدة "**ووريت**" مكبة على عملها فتطلعت إليه دهشة وهي تقول:

– سيدي.. هل من خدمة أؤديها؟

– أجل. إذا ما ذكر أمامك اسم جسر "**هنجر فورد**"، فإلى أين تذهبين؟

– إنني اتجه رأسًا إليه، بدون شك. إنه بالقرب من "**تشيرنغ كروس**". هناك عبر "**التيمس**".

– عرفت أين يقع. شكرًا، سيدة "**ووريت**".

*****

كان مساء ممطرًا عاصف الريح. وخبّ السيد "**ستافورد ناي**" في سيره وقد رفع

طوق معطفه الواقي من الأمطار ولم تكن هذه أول مرة يمشي فيها عبر جسر "**هنجرفورد**" وإن كان لم يخطر بباله من قبل أنه سيتجه إليه في مثل هذه الظروف.

وكان الجسر مزدحمًا بمسرعي الخطى إلى منازلهم، حيث يلوذون بها من أمطار هذه الليلة ورياحها. ودار بخلد السيد "**ستافورد ناي**"؛ أنه سيكون من العسير التعرف على أحد في زحمة هذه الجماهير. الساعة 7.10 ليست باللحظة المناسبة لتحديد موعد ما فوق هذا الجسر المزدحم.

وواصل سيره قدمًا، حريصًا على الاحتفاظ بمسافة بينه وبين من يتقدمه ومن يتعقبه؛ لكي يتيح الفرصة لمن يريد التعرف عليه.

أتراه أخيراً قد وقع فريسة لدعابة الغير، بعد أن كان صاحب القدح المعلى في هذا المضمار؟

وبينما كان هذا الخاطر يدور بخلده، وقع بصره، على امرأة ترتدي معطفًا واقيًا من المطر، تمشي على هون في الاتجاه المضاد. وبعد أن اصطدمت به، سقطت فوق ركبتيها. فأعانها على النهوض قائلاً:

– كل شيء على ما يرام؟

– أجل، شكرًا.

ومضت في طريقها مسرعة، بعد أن أودعت في يده شيئًا، وحرصت على أن تطبق أصابعه عليه ثم اختفت بين صفوف المارة في عكس اتجاهه.. ورأى السيد "**ستافورد ناي**" أن يمضي في طريقه هو الآخر، فهذا أفضل لهما. وظل يجد في سيره إلى أن بلغ الجانب الآخر من النهر.

وبعد بضع دقائق، كان يجلس في مقهى صغير؛ ليحتسي قدحًا من القهوة، وليتيح لنفسه فرصة لتأمل ما في يده. ووجد أنه ظرف رقيق من النايلون، بداخله ظرف آخر من الورق الأبيض وحينما فض الظرف الثاني، تولته الدهشة؛ إذ وجد به تذكرة دعوة لحضور المهرجان الموسيقي الذي سيقام بقاعة البلدية في مساء اليوم التالي.

# - 5 -

استقر السيد "ستافورد ناي" في مقعده، وراح ينصت إلى مقدمة البرنامج الموسيقي. وعلى الرغم من أنه كان يستمتع بموسيقى "فاجنر" الا أنه كان يؤثر من بينها أوبرا "سيجفريد رينجولد وجوتر دافيرنغ".

وكان يتلفت فيما حوله من لحظة لاخرى، بعد أن حرص على احتلال مقعده مبكرًا. وكانت القاعة كاملة العدد كما هي العادة. وفي فترة الاستراحة، نهض السيد "ستافورد" ليلقي نظرة على ما حوله. وكان المقعد المجاور له خاليًا لم يشغله أحد. بمعنى أن شاغله لم يحضر.

وغادر القاعة ليحتسي قدحًا من القهوة، ويدخن لفافة تبغ ثم يعود أدراجه عند سماع جرس التنبيه. وما إن اقترب من مقعده، حتى وجد أن المقعد المجاور له قد احتله صاحبه. واستقر في مقعده، ثم القى بنظرة عابرة جانبية، وتحقق من ان الجالسة إلى جانبه، هي فتاة استراحة مطار "فرانكفورت". ولم تلتفت إليه، بل حرصت على أن تولي وجهها شطر المسرح، ولم يبد عليها ما ينم عن تعرفها عليه. وأدرك من ذلك الخطة التي يجب أن تتبع في هذا اللقاء. وبعد أن أطفئت الأضواء استدارت إليه جارته قائلة:

– معذرة، هل تسمح لي بالاطلاع على برنامج الحفل؟ يبدو انني فقدت برنامجي حينما كنت في طريقي إلى مقعدي.

– بكل سرور.

ومد يده إليها بالبرنامج الذي تسلمته منه، ثم راحت تراجع بنوده.

وبدأت الموسيقى بافتتاحية لـ"لو هنجرين" وبعد انتهاء العزف أعادت إليه البرنامج شاكرة، وتناول البرنامج ليتعرف على اسم المقطوعة التالية. وحينئذ أبصر بسطر مدون بالقلم الرصاص في ذيل الصحيفة، ولم يحاول أن يقرأ ما هو مدون، في تلك اللحظة بالذات، حين خفتت الأضواء. فطوى البرنامج وأمسك به بين يديه

وتبادر إلى ذهنه أن هذا البرنامج هو برنامجها الذي ادعت بأنه فقد منها؛ لأنه لم يكن لديها فرصة لتدوين شيء ببرنامجه. إن الملحوظة كانت معدة له، الأمر الذي يدعوه لاتخاذ الحيطة في كل ما يصدر عنه. إن كل ما يحيط بهذه المرأة يعد لغزاً من الألغاز. ولم يستبعد أن يكون بالقاعة من يتتبع حركاتها أو حركاته. حسبه الآن أنها استجابت لندائه بالصحف، وأنه تأكد من وجودها بـ"**لندن**"، وليس عليه الآن سوى أن يصبر ويترقب، وأن يدع لها ما تشاء من خطوات، وأن يصدع بما تأمر كما فعل بالمطار. إن في هذا كله ما يجعل الحياة مشوقة، مثيرة، وليست كهذه الحياة المملة التي يقضيها في حضور المؤتمرات، وفور انتهاء الفرقة الموسيقية من عزفها، بدأت تحدثه دون أن تلتفت إليه أو يبدو عليها أنها تتحدث إليه. كانت تتحدث بصوت عادي أبعد ما يكون عن الخفوت.

وانتهى البرنامج الموسيقي، ودوت القاعة بالتصفيق وبدأ الحضور في الانصراف. وتلكأ لعله يرى منها توجيهاً ما ولكن لم يبدر منها شيء من هذا القبيل. وما كان منها إلا أن نهضت عن مقعدها وأسرعت الخطى مختفية مع صفوف المنصرفين.

واستقل السيد "**ستافورد**" سيارته عائداً إلى منزله. وتناول البرنامج إثر وصوله. وجلس يمعن النظر فيه لعله يتبين شيئًا مما سطر به. غير أنه لم يجد به الرسالة التي كانت يمني نفسه بها. إذ لم يكن مسطراً بالبرنامج كلمات معينة يفهم منها شيء – اللهم إلا من بضع علامات موسيقية بالقلم الرصاص – وفي حركة يائسة أعاد البرنامج إلى المنضدة بجواره. وبدأ يضيق ذرعًا بهذا الغموض الذي يكتنفه من كل جانب، وبخيبة الأمل كلما خيل إليه أنه يقترب من إماطة اللثام عن سر هذه المرأة الغامضة. وعادت لمحات الأمل تتسلل إلى ظلمة ذهنه، حينما دار بخلده هذا التساؤل: لماذا استجابت لندائه بالصحف؟ وفيم كان هذا اللقاء عند الجسر وفي الحفل؟ إن في ذلك كله ما يدل على أنها لن تدعه يتخبط في ظلام الشك والحيرة.

وعاد يلتقط البرنامج، ثم نهض إلى النافذة يطل منها. وبعد قليل، ألقى نظرة

على البرنامج وحاول أن يترنم بالنوتة الموسيقية المدونة بالقلم الرصاص. وبدا له أن اللحن مألوف لديه. فأعاد الترنم بصوت أعلى. وازداد اقتناعا بأن اللحن ليس جديدا عليه.

وابتعد عن النافذة، وجلس مسترخيًا في مقعده، يقلب الأمر على كل وجه. ورأى، فيما رأى، أنه قد يكون من الخير له أن يبتعد عن "**لندن**" ويسافر لزيارة العمة "**ماتيلدا**"، التي تقيم بشقة فسيحة في جناح من قصر قديم بالريف ورثته عن جده. كما أنه يشعر بين حين وآخر بالحنين إلى هذا البيت الذي كان يقضي فيه أيام العطلة المدرسية وهو صبي حيث كان يطيب له أن يتأمل صور أسلافه من كبار شخصيات الأسرة، مستعيدا في خياله ما كان يسمعه عن أمجادهم وثرائهم.

ترى لماذا عادت إليه هذه الذكرى؟ لعلها تلك الرغبة الكامنة في إلقاء نظرة على صورة شقيقته "**باميلا**"، التي التقطت لها منذ عشرين عامًا. إنه يريد أن يمعن النظر فيها ويتأملها عن كثب؛ ليتبين هذا الشبه بينها وبين تلك الغريبة التي اقتحمت عليه حياته وعكرت صفوها.

ومد يده يمسك ببرنامج الحفل ثانية وهو غاضب محنق، وراح يترنم بمضمون النوتة الموسيقية المدونة بالقلم الرصاص تم تم، تي تم. ثم أدرك لتوه ماذا تعني، وما كان كنهها بأكثر من حديث عام عن الموسيقى موضوع الحفل، وكذلك الليلة الماضية، الذي لم يكن موجهًا إليه في الظاهر. تلك هي الرسالة التي لم تكن لتعني أحداً سواه.

كان شأن المذكرة التي دونت له بأحرف موسيقية، لا يمكن أن يفهم منها أحد شيئًا سواه. "**سيجفريد**" الشاب، لابد وأن لهاتين الكلمتين معنى خاصًا. ليس عليه سوى التريث لعله يهتدي لما يمكن أن يكون ( "**سيجفريد**" الشاب ) ماذا تعني هذه الملحمة بحق السماء؟ لماذا وكيف ومتى وأين؟ يا لسخرية القدر! أن يصبح "**ستافورد ناي**" فريسة لأحابيل غيره.

واتصل تليفونيًا بالعمة "**ماتيلدا**" . وسمعها ترحب به قائلة :

– لسوف يسعدنا مجيؤك . . دونك قطار الرابعة والنصف وسيكون "**هوراس**" في انتظارك، اتفقنا .

– أما زال في خدمتكم؟

– بكل تأكيد .

بدأ "**هوراس**" حياته في خدمتهم صبيًا، ثم حوذيًا، ثم سائقًا، ثم ها هو لم يزل في خدمتهم وقد جاوز الثمانين. وابتسم السيد "**ستافورد**" راضيا، هادئ النفس.

## - 6 -

قالت العمة "**ماتيلدا**" وهي تصعده بنظراتها :

– لقد ازددت وسامة بتلك السمرة التي اكتسبتها في "**الملايو**" . الم تكن في "**الملايو**"؟ الم يكن المؤتمر في "**سيام**" أو "**تايلاند**"؟ إنهم يغيرون أسماء الدول في هذه الأيام، بحيث أصبح من العسير التمييز بينها واستيعابها . مهما يكن من أمر فإن المؤتمر لم يكن في "**فيتنام**"، اليس كذلك؟ لقد أصبحت أضيق ذرعًا بسماع هذه الأسماء المتداخلة المشوشة – فهذه "**فيتنام**" الشمالية وتلك "**فيتنام**" الجنوبية وهؤلاء "**الفيت كونج**" وآخرون "**الفيت لاو**" – إلى آخر هذه الأسماء التي لم نكن نسمع بها من قبل، وفي رأيي، أنه لو قدر لكل شعب أن يترك على سجيته، لاستراح العالم من هذا العناء.

– إنني جد معجب بآرائك دائمًا . كيف حالك يا عمتي العزيزة؟

وأودع السيد "**ستافورد ناي**" وجنة عمته المتغضنة الشاحبة، المعطرة، قبلة التحية والاحترام، وقالت له السيدة "**ماتيلدا كليكهيتون**" :

– لقد تقدم بي العمر يا بني . إنك لم تعرف بعد ماذا يعني هذا . إنها الأمراض تتوالى وثمة دائمًا ما نشكو منه . والآن فلتصارحني بالسر في هذه الزيارة المفاجئة .

وفوجئ السيد "**ستافورد**" بهذه الصراحة غير المتوقعة، وأُرْتِج عليه القول قبل أن يجيب:

– كيف؟ أونسيت أنه من عادتي أن أقوم بزيارتك عقب عودتي من رحلاتي في الخارج؟

– هلا اقتربت بمقعدك قليلاً؟ إن حاسة سمعي تزداد ضعفًا منذ أن زرتني أخيراً... إنك على غير ما ألفت أن أراك.. فلماذا؟

– لأنني عائد من بلاد حارة.

– هراء. لا تراوغني. لست أعني هذه الناحية. أهو الحب أخيراً؟

– الحب؟

– كنت أشعر بأنه سيأتي يوم يدهمك فيه هذا الحب كسائر الرجال.

– هلا حدثتني بما يدعوك إلى هذا الظن؟

– ما طرأ عليك من تغيير. ثم هلا حدثتني أنت عما يتناقله الناس عن نزعتك المجونية التي تقف حجر عثرة في سبيل مستقبلك؟ إن السلك السياسي لا يحب من رجاله مثل هذه النزوات.

وابتسم السيد "**ستافورد ناي**"، ولم يعقب بشيء، بل راح يجول بعينيه في الغرفة، فقالت له السيدة "**ماتيلدا**":

– عم تبحث؟

– عن صورك.

– لعلك لا تريد مني بيعها، إن كثيرين قد شرعوا في ذلك.

– كلا، ليس هذا ما أبغي. إنني مغرم بصورك، شديد التعلق بها.

– إنها سجل له قيمته للسلف وأمجاده، ترى أية صورة تريد؟ صورة "**باميلا**"؟

– أجل. ولقد جالت صورتها في خاطري بالأمس.

– لقد ورثتما هذا الوجه عن "**أليكسا**".

ومن عساها أن تكون؟

– جدتك الثانية – وربما الثالثة – تسلسلاً.. إنها مجرية.. كانت بارونة أو كونتسَّة أو شيئًا من هذا القبيل.. وحدث أن أحبها جدك الثالث حينما كان سفيراً بـ"**فيينا**".

– وهل توجد لـ"**أليكسا**" صورة بين مجموعة الأسرة كغيرها؟

– أجل. يمكن أن تجد صورتها بالطابق الأول أعلى الدرج يمينًا.

– يجب أن ألقي نظرة عليها قبل أن آوي إلى فراشي.

– ولماذا لا تفعل الآن؟ ثم تعود لتحدثني عما شاهدت.

ونهض مبتسماً وهو يغادر الغرفة إلى حيث ارتقى الدرج، ووقف يتأمل الصورة، ليجد أن هذا الوجه هو الذي وقع نظره عليه وانطبعت صورته في ذهنه، لا لما بينه وبين "**باميلا**" من شبه – وهو أمر مسلم به – وإنما لما بينه وبين هذه الصورة من تماثل صارخ. إذن فهذه هي صورة تلك الفتاة الجميلة الأنيقة التي أحضرها معه جده السفير إلى الوطن.

وتساءل عما إذا كانت ثمة قربى بينه وبين فتاة المطار بوصفها إحدى حفيدات هذه السيدة العظيمة؟

وبادرته السيدة "**ماتيلدا**" بسؤالها، بعد أن عاد أدراجه إلى قاعة الاستقبال:

– هل اهتديت إلى الصورة؟ وجه جذاب، لا تمل النظر إليه؟

– أجل، وجه جميل، صبوح..

– ولكنك لم يسبق لك السفر إلى "**المجر**" أو "**النمسا**" اليس كذلك؟ وما اظن أنك التقيت بمن تشبهها في "**ماليزيا**"؟ لقد كانت جدتك الكبرى من طراز فريد. كانت حسنة الخلق مهذبة، ولكنها كانت كالطائر البري، نفور جسور.

– وأنى لك كل هذه المعلومات عنها؟

– حقيقة أنني لم أكن معاصرة لها؛ لأنني ولدت بعد وفاتها بعدة أعوام، غير

أنني كنت أحب أن أستمع لما يروى عنها وعن إقدامها وحبها للمغامرة.

– وماذا كان موقف جدي الأكبر من كل هذا؟

– موقف من استبد به القلق حتى الموت. لقد كان مخلصاً لها، وكان عصرهما عصر تزمت وقيود مبالغ فيها.. عصر التقاليد الصماء. ومهما يكن من امر، فإنه خير من عصرنا هذا، بانحلاله الخلقي، وخنافسه المدللين، وفتياته اللاتي يذبن حباً عند سماعهن الجيتار.. إن هذا الطراز من الشباب، من الجنسين، لست أدري كيف يمكن أن يصبح – رجالاً ونساء – قادراً على مواجهة الحياة بكل ما فيها من تبعات ومسؤوليات وأعباء.. ولنعد الآن إلى الحديث عنك وعن مغامرتك الجديدة.

– ما الذي يدعوك إلى مثل هذا الظن، بحق السماء؟

– لأن هذا ما تنم عنه أسارير وجهك، وإن كنت تنكر ذلك.

– قلت لك إنه لا يوجد ما أحدثك به.

– لقد كنت أعرف عنك دائماً أنك كذاب أشر. حسن، على رسلك. جئ بها يوماً لزيارتي. هذا كل ما أبغي، قبل أن يجهز عليّ الأطباء بالمضادات الحيوية. ترى أين كان اللقاء بينكما؟ في "ماليزيا" على مائدة المؤتمر؟ أم هي ابنة السفير أو الوزير؟ أم تراك التقيت بها في الطائرة أثناء عودتك؟

فلم يجد السيد "ستافورد" بداً من أن يقول:

– بدأت تقتربين من الحقيقة.

– إذن، فهي إحدى المضيفات؟

– كلا..

– إذن، فلتحتفظ بسرك. إنني بالغة ما أريد يوماً ما.. هذا هو شأني معك دائماً.. إن الياس لا يعرف طريقه إلى قلبي.

وانتقل الحديث بهما إلى ما يجري في العالم من قلاقل وفتن، وإلى استغلال بعض الجهات لعنصر الشباب والتغرير بهم. وأخيراً قالت العمة "ماتيلدا" بعد أن

توقفت قليلاً عن مواصلة الكلام:

– إن التاريخ يعيد نفسه بطغاته وأحداثه، وفكره وأساليبه، وبأبطاله ومثله العليا، وبأحلام البعض التي تتوالى وتتكرر مع تغيير اللفظ والمبدأ. فهذا هو شأن نظرية ( "سيجفريد" الشاب ).

## - 7 -

نظرت إليه العمة "ماتيلدا" ، بعينيها الحادتين اللتين تتألقان ذكاء، وقالت:

– يخيل إليّ أنك لم تسمع بهذا الاصطلاح من قبل، أليس كذلك؟

– وماذا يعني؟

فرفعت حاجبيها دهشة وهي تسأل:

– أولا تعرف؟

– أقسم بما تشائين، إنني أجهل معناه.

– ولكنك سمعت الاصطلاح من قبل؟

– أجل، سمعته من شخص ما.

– من أحد ذوي الشخصيات المهمة؟

– ربما، ماذا تراك تعنين «بذي الشخصية المهمة؟»

– لقد قدر لك أن تشترك في عدة مؤتمرات، ممثلاً بلادك بين كبار القوم الموفدين من بلاد أخرى، ويمكنك أن تقدر بما لك من تجارب من عساه أن يكون ذا الشخصية المهمة. إنني ما زلت على صلة ببعض الأصدقاء القدامى الذين يحيطون علمًا بما يجري هنا وهناك، وهم ما زالوا – رغم تقدمهم في السن – متوقدي الذكاء، صحيحي الحكم على الأشياء، وتجدني التقط منهم مختلف الأنباء من آن لآخر. ومن هذه الأنباء ذلك القنوط والخوف السائد بين ربوع العالم. إن العالم قلق غير مستقر، بعد أن تغيرت فيه أوضاع كثيرة، وطفت على السطح انحرافات أكثر،

واصبحنا في زمن لا يمكن ان تثق بأحد فيه.

– حسن، وبماذا تشيرين عليّ؟

– أو تسألني المشورة حقًّا؟ وأنت تعلم كم أبلغ من العمر؟

– أجل. أسألك هذا صادقًا.

– إننا نريد أن نتوصل إلى منفذ يهدينا إلى ما تعنيه هذه الكلمة المتداولة أخيراً. الا وهي ( "سيجفريد" الشاب ) ولست أدري ما إذا كانت ترمز لشخص أو جماعة أو جواز مرور. غير انه لابد ان يكون الاصطلاح رمزًا لشيء وهناك ما يجب أن نضعه في اعتبارنا ايضا من هذه المعاني وهو الخط الموسيقي، لقد كدت أنسى أيام "فاجنر".. إن في موسيقى "فاجنر" ما يسمى نداء نفير "سيجفريد" لم لا تقتني جهاز تسجيل؟

– جهاز تسجيل؟

– أجل.. وتعلم كيف تؤدي نداء نفير "سيجفريد" وتسجله عليه.. إن لك تذوقًا موسيقيًّا، وفي وسعك أن تقوم بذلك وربما استطعت ان تستفيد به في الوقت المناسب، للتأثير في القوم الخاطئين.

– إن لك آراءك القيمة،بدون شك يا عمتاه.

– إن طول العمر يبلغ بك هذه المرتبة. إن التقدم في السن لا يتيح لك أن تذهب هنا وهناك. إن كل ما في وسعك أن تفعله هو أن تجلس في مقعدك وتمعن التفكير. أرجو ان تذكر قولي هذا بعد أربعين سنة.

– لقد أثرت انتباهي بتنويه واحد.

– واحد فقط، واحد فقط من بين كل ما تحدثت به إليك؟ ترى ما عساه أن يكون؟

– ما قلته من انه قد يتسنى لي التأثير في القوم الخاطئين بجهاز تسجيلي، هل هذا ما كنت تعنينه فعلاً؟

– أجل؛ لأن القوم الذين على صواب لا يعنينا أمرهم في كثير أو قليل. أما القوم الخاطئون فشيء آخر.. إنك مع هؤلاء، يجب أن تنفذ إلى الأشياء وتتطرق إليها، يجب أن يبذل المرء أقصى ما في وسعه ولا يبخل بشيء في سبيل بلوغ الأرب.

– لكم يسعدني أن أستمع إليك وإلى أحاديثك الشجية. سأغادر هذا القصر حاملاً معي ذخيرة من القول السديد الذي لا ينسى، وأعتقد أن لديك الكثير مما كان يجب أن تفضي به إليّ، ولكنك رأيت أن تحتفظي به في جعبتك.

– إنني أترقب اللحظة المناسبة، ولتثق بأنني أولي شئونك ما هي جديرة به من اهتمامي، ولتحطني علمًا بأحوالك من حين لآخر. إنك مدعو للعشاء بالسفارة الأمريكية في الأسبوع القادم، أليس كذلك؟

– من أين لك هذه المعلومات؟ إنني مدعو فعلاً.

– وقد قبلت الدعوة؟

– بحكم وظيفتي. عجبًا.. إنك تعرفين الكثير.

– الفضل في ذلك لـ"**ميللي**".

– "**ميللي**"؟

– "**ميللي جين كورتمان**" زوجة السفير الأمريكي، إنها شخصية جذابة، حسنة المظهر، أنيقة.

– تعنين "**ملدريد كورتمان**"؟

– أجل، وهي تفضل أن تدعى "**ميللي جين**" بدلاً من "**ملدريد**". لقد كنت أتحدث إليها تليفونيًا بشأن بعض حفلات البر – ونحن نطلق عليها اسم "**فينوس الجيب**"؛ لصغر حجمها.

– يا له من اسم مناسب جذاب!!

✿✿✿✿✿

# - 8 -

بينما كانت السيدة "**كورتمان**" مقبلة عليه مرحبة به، استعاد السيد "**ستافورد ناي**" في ذهنه الاسم الذي تطلقه عمته عليها.

كانت "**ميللي جين كورتمان**" بين الخامسة والثلاثين والأربعين من سني حياتها، دقيقة الملامح، زرقاء العينين، يتوج رأسها شعر يتسق مع لون عينيها وصفاء بشرتها. وكانت من الشخصيات المحبوبة في "**لندن**". أما زوجها، "**سام كورتمان**"، فكان عملاقًا، عريض المنكبين، أقرب إلى البدانة، وكان فخوراً بزوجته.

وحيت المضيفة السيد "**ستافورد ناي**" قائلة:

- لقد عدت من "**الملايو**"، أليس كذلك؟ أرجو أن تكون قد استمتعت برحلتك، وإن كان الطقس غير ملائم في مثل هذا الفصل من السنة.. إننا جد مسرورون بعودتك.. إنك تعرف السيدة "**ألدبورو**" والسيد "**جون**"، والهر "**فون روكين**"، وفراو "**فون روكين**". والسيد والسيدة "**ستاجنهام**".

وكان "**ستافورد ناي**" يعرفهم جميعًا، وكان هنالك سيد هولندي وزوجته لم يسبق له أن التقى بهما من قبل؛ لأن الزوج كان حديث العهد بمنصبه في "**لندن**".

أما "**ستاجنهام**" فكان وزير الشئون الاجتماعية، وهو شخصيًّا لا يتميز بشيء.

واستطردت المضيفة:

- وهذه هي الكونتسة "**ريناتا زركوفسكي**"، وأعتقد أنها قالت إنكما سبق أن التقيتما من قبل.

فقالت الكونتسة:

- لعل هذا اللقاء كان منذ عام مضى. حينما كنت في "**إنجلترا**" أخيراً.

ها هي ثانية المسافرة من "**فرانكفورت**". الواثقة بنفسها، الهادئة الأعصاب، الأنيقة الهندام. وكان شعرها معقوصًا إلى أعلى وقد زينت صدرها بحلية من الياقوت. وواصلت المضيفة عملية التعارف، قالت:

ـ السيد "**جاسبارو**"، الكونت "**ريتنر**"، السيد والسيدة "**أربوتنوت**".

وكان عدد المدعوين حوالي ثلاثين. وكان مقعد "**ستافورد ناي**" ساعة العشاء بين السيدة "**ستاجنهام**" والسيدة "**جاسبارو**". أما "**ريناتا زركوفسكي**"، فقد كان مقعدها في مواجهته تمامًا.

هذا هو عشاء السفارات الذي دعي إليه غير مرة، وكان لا يتغير نهجًا أو أسلوبًا، إذ يجمع بين مختلف أعضاء السلك الدبلوماسي، والوزراء، ورجال الصناعة، ونجوم المجتمع، ممن يحلو للمرء أن يلتقي بهم، اللهم فيما عدا واحدًا أو اثنين. ورغم أنه كان مستغرقًا في حديث شهي مع السيدة "**جاسبارو**"، فإن ذهنه كان منصرفًا عنها إلى حيث تتجه عيناه في لمحات غير ملحوظة إلى ناحية أخرى. وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن سبب دعوته إلى هذا الحفل وهل هي دعوة كسائر الدعوات؟ أم كانت دعوته، كما يحدث أحيانًا لحفظ التوازن العددي بين الرجال والنساء؟ أم تراها لسبب خاص معين؟ أهي دعوة جاءت عفو الخاطر، أم دعوة أعد لها؟ إن الإجابة عن هذا كله عند السفير، وعند زوجه. أم لعلها عند زوجه فقط؟!

هل يمكن أن يكون هذا الحفل أكثر من اجتماع في أمسية عادية؟ وراح يجول بعينيه بين المدعوين الجالسين إلى المائدة ليتبين منهم المدعو الذي يوحي وجوده بما يساعد على وضع النقط فوق الحروف. هل يمكن أن يكون أحد هؤلاء المدعوين من الشخصيات المهمة؟ ألا يحتمل أن يكون أحدهم من رجال المخابرات الأمريكية أو غيرها؟ إن هذا ليس بالأمر المستبعد في أيامنا هذه. إن ما يجري في هذا العالم لم يعد يجري على النهج المألوف. فهناك أمور تجري على مسرح الأحداث علنًا، وأمور بالغة الأهمية تجري من خلف الستار.

واستقرت عيناه لحظة على الجالسة في مواجهته، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة وادعة، والتقت أعينهما. ولم تحدثه نظراتها وابتسامتها بشيء. ترى، ماذا

جاء بها؟ إذن فهي سيدة مجتمع، وموضع تقدير من الجميع. ولكنه يريد أن يعرف من هي حقًا؟ وما وضعها بين أعضاء هذا المجتمع؟

وكانت علامات الذكاء تبدو في وجه هذه السيدة التي بادرته بالحديث في غير حرج في مطار "**فرانكفورت**". أكانت تلك المرأة بكل ما فيها من إقدام وجرأة هي الحقيقية؟ أم هذه التي تجلس أمامه كسيدة مجتمع في حفل عشاء دبلوماسي هي الحقيقية؟ أي دور من الدورين تقوم بأدائه ؟ أم ترى لها أكثر من شخصيتين؟ هذا ما يريد أن يعرفه ويميط اللثام عنه.

وهل كانت هذه الدعوة حيث دعيت هي محض مصادفة؟ وحينما كان يدور بخلده هذا السؤال نهضت "**ميللي جين**" عن مقعدها. وحذت سائر السيدات حذوها. وفجأة، دوى في الجو صخب وضجيج لم يكن متوقعًا، مصحوبًا بصراخ وصياح في الخارج. وأعقب هذا صوت تحطيم زجاج مصحوب بطلقات نارية. وتعلقت السيدة "**جاسبارو**" بذراع "**ستافورد ناي**" قائلة:

– رباه! ماذا يحدث ثانية! إنهم هؤلاء الطلبة. إنهم يقاومون رجال الشرطة ويقاتلونهم، ويأبون إلا أن يتظاهروا في الطرقات ويخلّوا بالأمن والنظام. لدينا منهم الكثير في "**روما**"، وفي "**ميلانو**". ومثلهم كثير في كل مكان من "**أوربا**". ماذا يريد هؤلاء الشبان الأغرار؟

وتطرق الحديث بالرجال – أو قل بالبعض منهم – إلى السياسة. وكان "**ستافورد ناي**" يبدو وكأنه يستمع إلى هذا وذاك، وإن كان في الحقيقة منصرفًا عنهم بذهنه إلى موضوع آخر. وأخيرًا، نهض الرجال ليلحقوا بالسيدات في قاعة الاستقبال. واتخذ السيد "**ستافورد ناي**" له مقعدًا إلى جانب سيدة ذهبية الشعر، له بها معرفة عادية. وكان يعلم عنها أنها ثرثارة، في غير ما يضجر ويبعث في النفس الملل من أحاديث السياسة والأحداث العالمية، وأنها تعرف الكثير عن زميلاتها وصديقاتها. ولم يعمد "**ستافورد ناي**" إلى توجيه

أسئلة مباشرة إليها حول ما يهدف إلى سماعه منها، بل حول دفة الحديث بلباقة، وبدون أن يشعرها بذلك إلى ما يبغي، فسمعها تتحدث عن الكونتسّة "**ريناتا زركوفسكي**" قائلة:

– إنها ما زالت بهية الطلعة، جميلة وضاءة المحيا. إنها لا تتواجد في "**لندن**" كثيراً. إنها تقضي معظم أيامها في "**نيويورك**"، أو في تلك الجزيرة الرائعة في البحر الأبيض المتوسط. إن شقيقتها متزوجة من ملك الصابون السويدي الجنسية، فيما أعتقد. وهي فاحشة الثراء، كما أنها تقضي بعضاً من وقتها في تلك القلعة بالقرب من "**ميونيخ**". وهي ذواقة للموسيقى شغوفة بها، لقد قالت إنها سبق أن التقت بك، أليس كذلك؟

– بلى، منذ عام أو عامين.

– أعتقد أن هذا اللقاء قد تم حينما كانت في "**إنجلترا**" من قبل ويقولون إنه كان لها دور في أزمة "**تشيكوسلوفاكيا**"، أو في اضطرابات "**بولندا**"، لست أذكر على وجه التحديد.

وانخرطت في حديث طويل عن بعض الأحوال العالمية والشئون الاقتصادية، والقيود النقدية إلى أن قاربت السهرة نهايتها. ورأى "**ستافورد**" أنه لم يحصل على الكثير من المعلومات عن زميلة السفر من "**فرانكفورت**" اللهم إلا بالنسبة لكثرة أسفارها ووضعها الاجتماعي والعائلي الذي يتيح لها الكثير من الاتصالات.

ودار بخلده للحظة عابرة أنها جاسوسة. وقد بدا له أن هذا الخاطر هو الأقرب احتمالاً وهذا هو التفسير المرجح، إلا أنه لم يكن يشعر في قرارة نفسه بأنه مقتنع به كل الاقتناع.

وقاربت السهرة نهايتها، وجاء دوره أخيراً لتوليه مضيفته بعض رعايتها. وكانت "**ميللي جين**" خير من يتقن تحية ضيوفها. قالت:

– كنت أتوق إلى فرصة لأتحدث معك. أريد أن أسمع الكثير عن "الملايو". إن أسماء هذه الدول الآسيوية المستحدثة تختلط عليّ. حدثني بما جرى هناك.. ترى، هل كان هناك ما يلفت النظر ويثير الانتباه، أم لم يكن ثمة جديد؟

✿✿✿✿✿

تلك الزرقة الداكنة في عينيها كان لها تأثيرها العميق فيمن تتحدث إليه، تمامًا كتأثير عيني القط الفارسي في أسيره. وكان بوده لو تسنى له أن يسبر غور "ميللي جين" وينفذ إلى أعماقها. إنها ليست بالمرأة العادية عقلية وتدبيرًا وإرادة. إن نظراتها إليه توحي بأنها تريد منه شيئًا.

✿✿✿✿✿

كان ميدان "جرسفينور" هادئًا تمامًا. وكانت أفاريزه تحمل بقايا الزجاج المحطم، والبيض والطماطم وغير ذلك من آثار مظاهرة الطلبة. وتعاقبت السيارات إلى باب السفارة تنقل الضيوف المنصرفين. وكان رجال الشرطة منتشرين في أنحاء الميدان استعدادًا لما عساه أن يحدث. وسمع السيد "ستافورد" صوتًا عميقًا، موسيقيًا يهمس في أذنه قائلاً:

– إنك لا تقيم بعيدًا عن هنا، أليس كذلك؟ يمكنني أن أصطحبك معي في طريقي إلى حيث أقيم.

– كلا.. كلا.. إن المسافة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق سيرًا على الأقدام.

فقالت له الكونتسّة "زركوفسكي":

– أوكد لك أنه سيكون من بواعث سروري أن أصطحبك معي. إنني أقيم في فندق "سانت جيمس تاور".

فقال "ستافورد":

– هذا كرم منك.

واستقل السيد "ستافورد ناي" السيارة الفاخرة مع الكونتسَّة "ريناتا" . وكانت هي التي أعلمت السائق بعنوان السيد "ستافورد ناي" . ومضت السيارة في طريقها وقال لها السيد "ستافورد" :

– وهكذا تعرفين أين أقيم؟

– ولم لا؟

– بلى، ولِمَ لا؟ حقًّا إنك تعرفين الكثير، أليس كذلك؟ لقد كان جميلاً منك أن تعيدي إليّ جواز سفري.

– لقد رأيت أنني بهذا قد أجنبك بعض المضايقات والحيرة والقلق. وقد يكون من الأوفق أن تحرقه إذ المفروض أنهم زودوك بجواز سفر آخر.

– تمامًا، يا سيدتي..

– وستجد معطفك الفضفاض في قاع درج دولابك. لقد أودع هناك الليلة. ولقد رأيت أن أعيده إليك لأنه قد يتعذر عليك شراء غيره.

– إن هذا المعطف سيعني الكثير لديّ، بعد أن اقترن بهذه المغامرة، أرجو أن يكون قد أدى الغرض المقصود منه.

– أجل، وعلى أتم وجه، لأنني ما زلت على قيد الحياة.

ولم يعقب السيد "ستافورد" بشيء. وكان يشعر في قرارة نفسه بأنها تريد منه أن يوجه إليها بعض الأسئلة، وأن يلح في الاستفسار منها عن حقيقة أمرها وعن المصير الذي نجت منه. إنها تريد منه أن يكشف عن فضوله، ولكنه عقد العزم في قرارة نفسه على الا يكون ذلك الفضولي. وسمعها تطلق ضحكة رقيقة، قبل أن تقول له:

– هل استمتعت بأمسيتك؟

– إن أمسيات "ميللي جين" دائمًا جميلة.

– هل لك بها معرفة وثيقة؟

– كنت أعرفها في "**نيويورك**" قبل أن تتزوج.. ويطلق عليها اسم "**فينوس الجيب**".

– وهل هذا الاسم من ابتكارك؟

– في الواقع لا.. لقد سمعته من إحدى قريباتي المتقدمات في السن.

– إنه وصف لا نسمع به في أيامنا هذه. وإنه لمنطبق عليها فعلاً. ولكن "**فينوس**" فاتنة، مغرية، أليست كذلك؟ أتراها طموحة أيضًا؟

– هل ترين في "**ميللي جين كورتمان**" أنها طموحة؟

– أجل. إنها الصفة الغالبة عليها.

– وهل ترين أن كونها زوجة السفير الأمريكي لدى بلاط "**سان جيمس**" لا يرضي طموحها؟

– كلا، بكل تأكيد. إن ذلك مجرد بداية.

ولم يعقب بشيء. كان يتطلع إلى الطريق. وكان يهم بأن يحدثها بشيء، ولكنه أمسك عن الكلام. لقد تبين نظرتها الخاطفة إليه وهي ملتزمة جانب الصمت وظلا على هذه الحال إلى أن بلغت بهما السيارة أحد جسور نهر "**التيمس**"، فبادرها بقوله:

– معنى هذا أنك لست في طريقك إلى منزلي، إلى أين ستذهبين بي؟

فقالت الكونتسة:

– وهل لك اعتراض؟

– أجل، فيما أظن.. ترى، أهو اختطاف؟ ولماذا؟

– لأنني وكما كان الأمر من قبل، بحاجة ماسة إليك، كما أن ثمة آخرين بحاجة إليك أيضًا. ألا يطيب لك هذا؟

– كان يسرني هذا لو سئلت المعونة اختياراً.

– وهل كنت توافق على أن تصحبني؟

– قد أوافق وقد لا أوافق.

– إنني جد آسفة.

وران عليهما صمت مطبق، بينما كانت السيارة تمضي بهما في أحد الطرق الرئيسية، وأمعن "ستافورد ناي" النظر؛ ليتبين أي طريق يسلكانه. إن السيارة تنحرف بهما أحيانًا عن الطريق الرئيسي لتعود إليه. وكاد يستفسر من رفيقته عما إذا كان هذا الانحراف خوفًا من أن يكون ثمة من يتعقبهما من "لندن". غير أنه آثر أن يطبق شفتيه اتباعًا لما اختطه لنفسه من سياسة الصمت، وأن يدع لها فرصة الكلام إذا شاءت.

وأخيرًا، بلغت بهما السيارة وجهتها. واجتازت بهما الأبواب إلى ممشى تحف به الأزهار القرمزية من الجانبين، ثم توقفت بهما بعد أحد المنحنيات أمام بيت كبير. فقال "ستافورد ناي":

– أعتقد أن هذه هي نهاية رحلتنا؟

– لعل البيت لا يروق لك من الخارج.

– ولكنه يتطلب الكثير من المال للمحافظة عليه وليستكمل كل وسائل الراحة لمن يقيم به.

– فعلاً. إنه بيت لا ينقصه شيء من وسائل الراحة وإن كان لا يبدو جميلاً من الخارج. إن الرجل الذي يقيم به يفضل الراحة والدعة على الجمال.

– ربما كان مصيبًا في ذلك. وإن كنت أرى أنه يقدر الجمال في نواح أخرى.

وغادر السيد "ستافورد" السيارة ومد ذراعه؛ ليعين الكونتسة لتلحق به، وتقدمهما السائق ليعلن قدومهما، ثم التفت إلى السيدة متسائلاً:

– ألن تكوني بحاجة إليّ الليلة، يا سيدتي؟

– نعم.. لن أكون بحاجة إليك. سأتصل بك تليفونيًا في الصباح.

– طابت ليلتك يا سيدتي.

وسمع وقع خطوات في الداخل فتح بعدها الباب على مصراعيه. وكان السيد "**ستافورد**" يتوقع أن يكون القادم كبير الخدم، غير أنه رأى أمامه مشرفة قد خط المشيب شعر رأسها، منتصبة القامة قوية الشخصية، من ذلك الطراز الذي يندر وجوده في أيامنا هذه فقالت له "**ريناتا**":

– أخشى أن أكون قد تأخرت قليلاً.

– إن السيد في المكتبة. وقد طلب أن تذهبا إليه بمجرد وصولكما.

## - 9 -

تقدمتهما المشرفة مرتقية الدرج العريض إلى الطابق الأول، ورأى "**ستافورد ناي**" مما حوله أنه في بيت رجل ثري. وخطت المرأة إلى أول الأبواب تفتحه وتنتحي جانبًا لتفسح لهما طريق الدخول، دون أن تعلن عن اسميهما. وتبع السيد "**ستافورد ناي**" الكونتسَّة، ثم سمع الباب يوصد بهدوء من خلفه.

وكان بالغرفة أربعة رجال، وقد جلس إلى مكتب كبير غطته الأوراق والمستندات، وخريطة كبيرة أو اثنتان، رجل ضخم، بدين، شاحب اللون. وكان الوجه مألوفًا لديه، وإن لم يستطع أن يذكر اسم صاحبه، ولا أين التقى به.

ونهض الرجل الجالس إلى المكتب مادًّا يده إلى يد الكونتسَّة "**ريناتا**" قائلا:

– ها قد وصلت أخيراً. رائع.

– دعني أقوم بواجب التعارف بينكما، وإن كنت أعتقد أنك تعرفه. السيد "**ستافورد ناي**"، السيد "**روبنسون**".

وومض في ذهن "**ستافورد ناي**" خاطر كالبرق.

بكل تأكيد.. إن هذا الاسم يقترن باسم آخر هو اسم "**بايكواي**". ولكنه لا يستطيع أن يزعم أنه يعرف كل شيء عن السيد "**روبنسون**".. إنه لا يعرف عنه إلا

ما أراد له السيد "**روبنسون**" أن يعرفه. وحتى اسمه، "**روبنسون**"، قد لا يكون هو الاسم الحقيقي. وهو يعرف عن السيد "**روبنسون**" أنه يمثل كلمة "المال" بأحلى معانيها. المال بكل نواحيه. المال الدولي العالمي، والمال الوطني، والمال المصرفي. إنه يمثل المال، وإن كان مظهره لا يوحي بأنه ثري بينما هو في الواقع رجل فاحش الثراء. إنه المال المدبر، والمال الموجه. إنه يمثل قوة المال بكل مفهوم الكلمة. وبادره السيد "**روبنسون**" قائلا وهو يصافحه:

– لقد سمعت عنك منذ يوم أو يومين، من صديقنا "**بايكواي**".

وانجلى كل ما غمض في ذهن "**ستافورد ناي**"؛ لأنه استعاد ذكرى المناسبة الفريدة التي تم فيها اللقاء بينه وبين السيد "**روبنسون**" بحضور الكولونيل "**بايكواي**". وها هو الآن يلتقي أيضًا بـ"**ماري آن**" أو الكونتسَّة "**زركوفسكي**" التي تحدث عنها وعن "**روبنسون**" السيد "**هورشام**" بحضور "**بايكواي**"، وانتقل "**ستافورد**" بعينيه إلى الثلاثة الآخرين لعله يتعرف عليهم أو على دورهم.

ولم يكن به حاجة للحدس أو إعمال الفكر بالنسبة لاثنين منهم. فقد كان الرجل الجالس بجوار المدفأة، والمتقدم في السن، معروفًا في جميع أنحاء "**إنجلترا**"، وإن كان لا يراه الناس إلا نادرًا؛ إذ إنه رجل عليل، معتكف، اضطره مرضه إلى ذلك. إنه الأمير "**إلتامونت**".

ومد الرجل يده إلى "**ستافورد ناي**" الذي اتجه إليه، وقال الأمير في صوت خافت:

– معذرة، إذ إنني لا أستطيع النهوض لمرضي. إنك عائد لتوك من "**الملايو**"، أليس كذلك؟

– بلى.

– أعتقد أنك لم تجد في هذه الرحلة أي عناء. ومع ذلك، فعلينا أن نشترك في مثل هذه المؤتمرات المظهرية. يسرني أنهم جاءوا بك الليلة إلينا! هذا من فعل "**ماري**

آن"، فيما أعتقد؟

إذن فهذا هو اسمها لديهم، وهذا هو رأيهم فيها. إنه الاسم الذي أشار به "هورشام" إليها.. إن "آن" ضالعة معهم إذن. وليس من شك في أن "إلتامونت" يعمل في صالح "إنجلترا" إلى أن يدفن في مقابر "وستمنستر". إنه ملم بكل شيء عن "إنجلترا"، وعن رجالاتها وانه سوف يظل يعمل من أجل "إنجلترا" ويعرف كل شيء عن أعضاء الحكومة وإن لم يلتق بهم.

وأردف الأمير "إلتامونت" قائلاً:

– زميلك، السيد "جيمس كليك".

ولم يكن لـ"ستافورد ناي" سابق معرفة بـ"كليك". كما أنه لا يعتقد أنه سمع باسمه من قبل. وقد رأى فيه رجلاً قلقًا، لا يستقر له قرار، حذر النظرات، متوثبًا للانقضاض، في انتظار كلمة من سيده.

ولكن، من عساه أن يكون سيده؟ "إلتامونت" أم "روبنسون"؟

وانتقل "ستافورد" بعينيه إلى الرجل الرابع. وكان قد نهض من مقعده الذي كان جالسًا فيه على مقربة من الباب. وكان كث الشاربين، منطويًا على نفسه، وإن كانت في عينيه نظرات من لا يغفل عن شيء.

وبادره السيد "ستافورد ناي" قائلاً:

– أهذا أنت يا "هورشام". كيف حالك؟

– يسرني أن نلتقي هنا يا سيد "ستافورد".

وكانوا قد أعدوا لـ"ريناتا" مقعداً على مقربة من المدفأة ومن الأمير "إلتامونت". ومدت إلى هذا الأخير يدها اليسرى فأخذها بين يديه وهو يربتها قائلاً:

– لقد خاطرت يا صغيرتي. وإنك لتخاطرين كثيراً.

وتطلعت إليه قائلة:

– إنك دربتني على هذا، وهو السبيل الوحيد للحياة.

وخلى الأمير "**إلتامونت**" بينه وبين يدها قائلاً، وهو يستدير برأسه إلى السيد "**ستافورد ناي**":

– لم أكن أنا مَنْ لقنك كيف تختارين رجلك. إن لك مواهبك الخاصة. إن لي معرفة بعمتك الكبرى يا سيد "**ستافورد**". إنها إحدى بقايا العصر الفيكتوري. لعلها قد بلغت التسعين من عمرها. إننا لا نلتقي كثيراً.. مرة أو مرتين في العام تقريباً. غير أن هذا اللقاء يسعدني دائمًا. كما تجدني معجباً بكل ما فيها من قوة عقلية وبدنية.

وانبرى السيد "**جيمس كليك**" قائلاً:

– "**ناي**"، دعني أقدم لك شرابًا، ماذا تفضل؟

– أناناس إذا تكرمت.

وحمل "**جيمس كليك**" الشراب إلى "**ناي**"، ووضعه فوق المنضدة بجوار السيد "**روبنسون**". ورأى "**ستافورد ناي**" ألا يبدأ الحديث، وتألقت عينا الجالس إلى المكتب وهو يقول:

– هل لديك من الأسئلة ما تريد توجيهه؟

– الكثير. وإن كنت أرى أن نبدأ بالإيضاحات ثم نثنّي بالأسئلة.

– ليكن لك ما تريد.

– لقد تعرضت لعملية اختطاف. وهي من الأساليب السائدة في أيامنا هذه. وإني لأسأل: لماذا؟

– يعجبني منك اقتصادك في القول. إن ما تراه هو اجتماع خاص – لجنة لتقصي الحقائق في موضوع له أهميته العالمية العريضة.

– يبدو لي أن الأمر شائق.

– إنه أكثر من شائق. إنه مؤثر وعاجل. إن أربعة أساليب من أساليب الحياة ممثلة في هذه الغرفة الليلة.

وأردف الأمير "إلتامونت" موضحًا:

– إننا نمثل نواحي مختلفة. ورغم أنني اعتزلت الحياة العامة في هذه البلاد فإنني مازلت قوة استشارية لها قدرها. ولقد سئلت الرأي وطلب إليّ أن أرأس هذه اللجنة الخاصة المنوط بها تقصي حقائق ما يجري في عالمنا هذا. و"جيمس" هو ساعدي الأيمن في هذا العمل البالغ الأهمية. وهو المتحدث باسمنا. "جيمس"، عليك بإيضاح كل شيء للسيد "ستافورد ناي".

فاتكأ "جيمس" بمرفقيه إلى الأمام وقال:

– إذا ما لوحظ أن ثمة أحداثًا تجري في العالم، فمن المتعين أن نمعن النظر في أسبابها. إن الظاهر يختلف عن الباطن. ومن الأهمية بمكان أن نتوفر على دراسة هذه الأمور. إن لكل ظاهرة عواقبها، ولكل ظاهرة من يسيطر عليها ويتحكم فيها. وقياسًا على ذلك، فإنه يتعين البحث عن هؤلاء الذين يسيطرون على القوى الصاعدة في كل بلد من بلاد "أوربا"، و"آسيا"، ثم "إفريقيا"، وأخيرًا في قارتي "أمريكا". علينا أن نتحرى ونبحث إلى أن نهتدي إلى الدوافع الخفية. إن هناك عنصرًا واحدًا تنفجر منه هذه الدوافع وهذا العنصر هو المال.

وأومأ برأسه نحو السيد "روبنسون" وقال مستطردًا:

– والسيد "روبنسون" هو خير من يعرف الكثير عن المال.

وانبرى السيد "روبنسون" قائلاً:

– إن الأمر في منتهى البساطة. فثمة حركات تجري تعم هذا العالم ولابد أن تكون هذه الحركات مستندة إلى المال. وعلينا أن نهتدي إلى مصدر هذه الأموال. كما أن علينا أن نميط اللثام عن الاتجاهات المختلفة. وهذه الاتجاهات تندرج تحت عنوان واحد ألا وهو التمرد والثورة، بصورة أو بأخرى، ومن بلد إلى آخر. أتراني قد أوضحت؟

وتطلع "روبنسون" إلى الأمير "إلتامونت" الذي قال:

– أجل، لقد أحسنت. إنها حركات معدية تنتشر كالوباء. ويضاعف من انتشارها هؤلاء الذين أوتوا المقدرة على إثارة حماسة من يستمعون إليهم. وهذه المقدرة لا تكمن في الكلمات المسموعة بقدر ما تكمن في الطاقة المغناطيسية لهؤلاء، حركة، وصوتًا، وإيماء.

وتحرك "ستافورد ناي" في مقعده قائلاً:

– أدرك ما تعني. وما تقوله جدير بالتدبر.

– أرجو ألا ترى شيئًا من ذلك. ولم يعد يوجد في عالمنا هذا ما هو مبالغ فيه. وبهذه المناسبة هل لي في أن أوجه سؤالاً؟ ماذا عسانا أن نفعل إزاء هذه الظواهر؟

فانبرى الأمير "إلتامونت" مجيبًا:

– إذا ما ساورك الشك فيما يجري من أمور فيجب أن تبحث وتتحرى عن مصدر المال وعن مكان الرأس المدبر. وهذا ما نحاول أن نفعله. وهذا ما نريد منك أن تعيننا عليه.

ولم يتحدث كثيراً ؛ إذ شعر السيد "ستافورد ناي" بأنه أسقط في يده. فراح ينقل البصر من رجل إلى آخر، متاملاً كل واحد منهم قليلاً.

ثم استقرت عيناه على تلك السيدة الجالسة في هدوء، والتي اصطحبته إلى هذه الغرفة، الكونتسة "ريناتا زركوفسكي" الشهيرة بـ"ماري آن"، و"دافن تيودوفانوس" سابقًا. ولم يحدثه وجهها بشيء. ورأى أنها تكاد تنكر وجوده. وأخيراً اتجه بعينيه إلى السيد "هنري هورشام" رجل الأمن. ودهش إذ ألفه يبتسم له وبادره "ستافورد" قائلا:

– استمعوا جيداً لما أقول.. أين مكاني من كل هذا؟ ماذا أعرف؟ أصارحكم القول، بأنني لست من الرجال البارزين في مهنتي. إن رأي وزارة الخارجية في شخصي رأي متواضع.

فقال الأمير "إلتامونت":

– نعرف هذا.

وابتسم "جيمس كليك" معقبًا:

– قد يكون في ذلك بعض الخير.

وانبرى السيد "روبنسون" قائلاً:

– هذه لجنة لتقصي الحقائق ولا يعنينا في كثير أو قليل ما فعلت في الماضي، أو ما هو رأي الآخرين فيك. لقد طلبنا إليك الانضمام إلينا؛ لأننا رأينا أنك ستكون خير عون لنا.

واستدار "ستافورد ناي" ناحية رجل الأمن قائلاً:

– وما رأيك يا "هورشام"؟ إنني لا أصدق أنك توافق على ذلك.

فقال "هنري هورشام":

– ولم لا؟

– وعلى أي أساس اتخذتم هذا القرار؟ وما الصفات التي رشحتني؟ إنني لا أكاد أومن بنفسي.

فقال "هورشام":

– لأنك لست من عبدة الأبطال. ولا يعنيك تلك الهالات التي يحيط بها انفسهم أو يضيفها عليهم الآخرون.

ودار بخلد السيد "ستافورد ناي" ان ما سمعه من تعليل يدعو للتساؤل: أو تكون صفته البارزة كرجل لا يحمل الأمور على محمل الجد هي التي رشحته لمثل هذا العمل الجاد العسير؟ قال:

– أجد لزامًا عليّ أن أحذركم. إن ما يعيبني حقًا، وما أساء إليّ في حياتي، وما هو معروف عني، هو أنني لست بالرجل الجاد الذي يصلح لعمل كهذا.

فقال "هورشام":

– صدق أو لا تصدق. إن ما يعيبك هو أحد الأسباب التي أيدت ترشيحك.

أليس كذلك يا سيدي الأمير؟

فاردف الأمير "**إلتامونت**" قائلاً:

– إنها خدمة عامة! دعني أحيطك علمًا بأن من أكبر عيوب ذوي المناصب العامة مبالغتهم في التظاهر بالصرامة والجد. وعلمنا بأنك لست من هذا الطراز، وهذا هو الذي حدا بنا إلى اختيارك. وهذا أيضًا هو رأي "**ماري آن**" فيك.

والتفت السيد "**ستافورد ناي**" إليها. إذن، فها هي تنادى بـ"**ماري آن**" ولم تعد بالكونتسّة.

واتجه إليها متسائلاً:

– ما حقيقة أمرك؟ أعني هل أنت كونتسّة حقًّا؟

– بكل تأكيد. لقد كان لأبي شأنه، وكانت له قلعة في "**بافاريا**". إنها ما زالت في موقعها. وفي عالمنا تتقدم الجميع الكونتسّة مهما كانت فقيرة على المليونير الأمريكي الذي يمتلك ثروة خيالية في البنوك.

– وماذا عن "**دافن تيودوفانوس**"؟

– إنه اسم ينتفع به في جوازات السفر. لقد كانت والدتي يونانية.

– و"**ماري آن**"؟

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها تبتسم. وتطلعت إلى الأمير "**إلتامونت**" ثم إلى السيد "**روبنسون**" قبل أن تقول:

– ربما كان هذا الاسم متفقًا مع حقيقة أمري من أنني أقوم بكل شيء، وأذهب إلى كل مكان، وأنتقل من هنا إلى هناك، إلى آخر ما هو من هذا القبيل. أتراني نطقت بالحق أيها العم "**نيد**"؟

ونظرت إلى الأمير "**إلتامونت**" فقال هذا:

– كل الحق، يا صغيرتي. "**ماري آن**"، لقد كنت دائمًا وستظلين معنا.

فواصل "**ستافورد ناي**" أسئلته لها:

– وهل كنت تحملين شيئًا بتلك الطائرة؟ أعني تنقلين شيئًا مهمًّا من بلد إلى آخر؟

– أجل. وكان هذا معروفًا ولولا أنك قدمت لي ما قدمت من عون، لما كنت هنا الآن.

– ماذا كنت تحملين – أم لعله ليس من حقي أن أسالك عن ذلك؟ أثمة من الأمور ما لن أعرف كنهه أبدًا؟

– ثمة الكثير من هذا القبيل. أما عن سؤالك الأخير، فأعتقد أنني سأجيب عنه إذا ما أذن لي بهذا.

وعادت تتطلع إلى الأمير "إلتامونت" ثانية. فقال لها الأمير:

إني أثق بحسن تقديرك للأمور فاشبعي فضوله.

– لقد كنت أحمل معي شهادة ميلاد. ولن أصارحك بأكثر من هذا.

فدار "ستافورد ناي" بعينيه بين المجتمعين قائلاً:

– فليكن. إني منضم إليكم. ويسرني أن تجدوا فيّ العضو الصالح. ما أولى خطوات العمل؟

– سنغادر معاً هذا القصر غداً. وسنسافر إلى "ألمانيا" ولعلك علمت بأمر مهرجان الموسيقى الذي سيقام في "بافاريا". إنه مهرجان استحدث منذ عامين فقط، ويندرج تحت اسم ألماني يعني "جماعة المغردين الشبان"، وهي جماعة تتلقى معونات من عدة حكومات، وتحظى بتأييد البعض كما تلقى معارضة شديدة من آخرين.

– لقد سمعت بأمرها. وهل سنحضر هذا المهرجان؟

– أجل. لدينا مقاعد محجوزة لحفلتين.

– وهل لهذه الحفلات أهمية خاصة بالنسبة لما نقوم به من تحريات؟

– كلا. إنها ما يمكن أن نطلق عليه جواز مرور. إننا نذهب إلى هذه الحفلات

كتمهيد لما بعدها من خطوات أخرى.

وتطلع إلى الجالسين متسائلاً:

- هل من تعليمات أخرى؟ هل من توجيهات؟

فقال السيد "**روبنسون**":

- ليس بهذا المفهوم. إنك ذاهب في رحلة استطلاعية، وستتعلم الكثير في كل خطوة تخطوها. إنك مسافر بشخصك، غير مزود بأكثر مما تعرف في الوقت الحاضر. إنك ذاهب كمحب للموسيقى، وكدبلوماسي يرجو ان يزيل عن نفسه الملل. هذا أفضل وأكثر أمنًا. سوف تكون المسافر على غير هدي من بلد إلى آخر، ومن مركز للقوى إلى مركز غيره للقوى، وسيكون في وسعك أن تجمع من المعلومات كل ما هو ذو نفع وفاعلية. وعليك أن تعنى بحركات الشباب فإن هناك تنظيمات قوية للشباب في كل مكان تحض على كراهية الحكومة وعصيان الآباء والخروج على التقاليد الموروثة.. والارتداد عن الدين والتسيب واعتناق شريعة العنف.. ليس للحصول على المال.. وإنما حبًا في العنف لذاته..

كل هذه الظواهر تثير قلق المسؤولين في جميع الأقطار. ومهمتك هي تعقبها والتعرف على كل ما يتصل بها. من وماذا ولماذا وأين؟ تلك هي الأسئلة التي تتركز فيها مهمتك. وهذا ما يجب أن تهتدي إلى سره. أنت و"**ماري آن**". وليس هذا بالأمر اليسير الهين. وأوصيك بكتمان كل سر تميط اللثام عنه وتصل إلى كنهه. فإن من نزعات البشر إظهار العلم ببواطن الأمور، وتأكيداً لأهمية شخصية المتحدث.

وأغمض السيد "**روبنسون**" عينيه إيذانًا بانتهاء اللقاء ونهضت الكونتسة وحذا "**ستافورد ناي**" حذوها. وسمع "**روبنسون**" يقول له:

- أرجو أن تقضي ليلة وادعة وتستمتع بنوم هادئ، وهذا البيت قد أعد بحيث تتوافر فيه كل أسباب الراحة.

وتمتم "**ستافورد ناي**" بأنه واثق بذلك. وما إن أسند رأسه فيما بعد إلى

وسادته، حتى استسلم للنعاس.

## - 10 -

غادرا مسرح المهرجان الموسيقي إلى نسيم الليل المنعش. وكانت "ريناتا" ترتدي ثوب سهرة من القطيفة السوداء، كما كان "ستافورد ناي" مرتديًا حلة السهرة برباط عنقها الأبيض.. قال:

– يا له من حفل ممتاز. لقد أنفق في سبيله الكثير. إن غالبية النظارة من الشباب وما أظن أن لهم مقدرة على هذه النفقات. أعتقد أن هذه أمور يصير تدبيرها من الإعانات؟

– أجل.

واتجها صوب المطعم الكائن على سفح الجبل. وقال "ستافورد":

– أمامنا ساعة لتناول الطعام، أليس كذلك؟

– ساعة وربع الساعة على وجه التحديد.

– إن معظم النظارة، أو كلهم من عشاق الموسيقى.

– معظمهم فعلاً. إن لهذا أهميته.

– ماذا تعنين؟

– أعني أن الحماسة للموسيقى يجب أن تكون أصيلة فيهم.

– لم أدرك ما تعنين على وجه التحديد؟

– إن هؤلاء الذين يمارسون العنف وينظمون له يجب أن يحبوا العنف، ويريدونه ويتحمسون له، وإنك لتجد في كل حركة من حركاتهم طابع الافتتان المتسم بالرغبة في الأذى والتدمير. وهو نفس الوضع بالنسبة إلى الموسيقى؛ إذ يجب أن تتذوق الأذن كل دقيقة من الألحان وجمال الإيقاع. بمعنى أن كلا الإحساسين يجب أن يكون متأصلاً في النفس.

– هل تعنين أن في وسعك الجمع بين العنف وحب الموسيقى أو حب الفن؟

– أجل، وإن لم يكن هذا من الأمور الهينة دائمًا. ثمة كثيرون في وسعهم هذا. وليس من شك في أنه من الخير عدم الجمع بين الدورين.

– فعلاً. وليحب عشاق الموسيقى موسيقاهم، وليحب من يمارسون العنف عنفهم. أليس هذا أفضل؟

– أعتقد هذا.

– لقد استمتعت بهذين اليومين، وإن كنت لم أستمتع بكل ما استمعت إليه من موسيقى، لأن تذوقي للحديث عنها ليس كاملاً، ولقد وجدت في الثياب الحريرية ما يشد الانتباه.

– تعني ثياب الإنتاج المسرحي؟

– كلا.. كلا. لقد كنت أتحدث عن ثياب النظارة. عن تلك الثياب المخملية، وذاك الترف البادي في كل ما يتحلون به. إنه طابع القرن الثامن عشر أو فلنقل طابع عصر "**إليزابيث**" و"**فان دايك**".

– هذا حق.

– إنني لا أكاد أفهم ماذا يعني هذا كله. إنني لم أتعلم شيئًا، كما أنني لم أكتشف شيئًا.

– عليك أن تتذرع بالصبر.. إنه عرض مسرحي فاخر، يسانده، ويطالب به الشباب، ويموله...

– من يا ترى؟

– هذا ما لا نعرفه. لسوف نعرف كل شيء.

– يسرني أنك واثقة بذلك.

وبلغا بسيرهما المطعم حيث جلسا إلى إحدى موائده. والتقى السيد "**ستافورد**" باثنين من معارفه أبديا دهشتهما وسرورهما بهذا اللقاء.

وكان الذين تعرفوا على "ريناتا" أكثر عددًا وأوسع دائرة، من النساء والرجال

على حد سواء، ومن مختلف الجنسيات من الألمان والنمساويين والأمريكيين. وكان حديث الجميع عن العرض الموسيقي. وكانوا جميعًا في عجلة من أمرهم، لقصر أمد فترة الاستراحة، ولكي يعودوا إلى مقاعدهم في الوقت المناسب.

وبعد انتهاء العرضين الباقيين، غادرا المسرح إلى حيث وجدا السيارة في انتظارهما، لتقلهما إلى الفندق الصغير بالقرية. وبعد أن ألقى **"ستافورد ناي"** بتحية المساء إلى **"ريناتا"**، قالت في صوت خافت:

– الساعة الرابعة صباحًا. كن مستعدًا.

وأسرعت إلى غرفتها، وأسرع بدوره إلى غرفته.

وفي تمام الساعة الرابعة إلا ثلاث دقائق من صباح اليوم التالي، سمع طرقًا خفيفًا على باب غرفته. ففتح الباب ليجدها أمامه قائلة:

– السيارة في الانتظار. هيا بنا.

*****

تناولا طعام الغداء في مشرب صغير. وكان الطقس بديعًا، ومنظر الجبال رائعًا، وكان **"ستافورد ناي"** لا يفتأ يتساءل، فيما بينه وبين نفسه، عما أتى به إلى هذا المكان. وكانت رفيقته في السفر تزداد غموضًا، لا تتحدث إلا قليلا. ووجد نفسه يتأمل وجهها خلسة ويتساءل:

ترى إلى أين تقوده؟ وفيم كل هذا العناء؟ وأخيرًا قال وقد كادت الشمس تغرب:

– إلى أين نحن ذاهبان؟

– قد لا تجد في مجرد الإجابة عن سؤالك ما يشبع فضولك.

وراح يتأملها وهو مستغرق في التفكير، وكانت ترتدي معطفًا من الصوف، وثوبًا بسيطًا من ثياب السفر، أجنبي الصنع. فقال لها:

- "ماري آن" ؟

- كلا، ليس بعد. ما زلتُ الكونتسةَّ "زركوفسكي" .

- أتراك في موطنك الأصلي؟

- لقد نشأت طفلة في هذه الناحية من العالم. وكنا نزور هذه الربوع في خريف كل عام.

- هذه هي بلاد "هتلر"، أليس كـذلك؟ إننا لا نبـعـد كـثـيـراً عن "بريختسجادن" ؟

- إنها تقع في الشمال الشرقي.

- هل كان أصدقاؤك يؤمنون بـ"هتلر" ؟

- كانوا يكرهونه، وإن كانوا يمجدونه مضطرين.

- وما وجهتنا؟

- أويعنيك هذا كثيراً؟

- ألسنا في رحلة استطلاع؟

- بلى، ولكنها ليست رحلة استطلاع جغرافية. إننا في طريقنا للقاء إحدى الشخصيات.

- إنك تشعرينني كأننا في طريقنا لزيارة رجل الجبال العتيد.

- تعني أمير المخدرات، ذلك الذي كان يحرص على أن يتعاطى أتباعه المخدرات كي يستميتوا في الدفاع عنه، وفي القتال من أجله، مؤمنين بأن مصيرهم الجنة. تبًّا لأولئك المضللين الذين عرفتهم كل العصور والذين جعلوا من أتباعهم بشراً مستعدين للموت من أجلهم.

ولقد كان "هتلر" من هؤلاء، وكان أتباعه هم المأخوذون. ومهما يكن من أمر، فإني لأتساءل عما حدا بك إلى الحديث عن رجل الجبال العتيد؟

- هل أفهم من هذا أن هذا الرجل موجود؟

– كلا، ليس برجل فقد يكون هناك سيدة الجبال.

– سيدة الجبال. كيف تبدو؟

– لسوف ترى هذا المساء.

– وماذا نحن فاعلون في أمسيتنا هذه؟

– نحن في طريقنا إلى مجتمع ما.

– يلوح لي أنه قد انقضت فترة طويلة منذ أن انتحلت شخصية "**ماري آن**" لآخر مرة.

– عليك أن تنتظر إلى أن نقوم برحلة جوية أخرى. وبالمناسبة، يجب أن تتوخى الحذر الليلة.

– هل ثمة من تعليمات؟

– إنك من المتذمرين الساخطين. إنك ضد ما تعارف العالم على احترامه. إنك من العصاة السريين. هل وعيت ما أعني؟

– أجل، وسأحاول أن أكون هذا الرجل.

واستقلا السيارة التي حملتهما عبر المنحدرات وقرى الجبال، وانحرفت بهما أخيرًا إلى إحدى الغابات، حيث رأى "**ستافورد ناي**" بعض الحيوانات الشاردة، وبعض الرجال يحملون البنادق ويرتدون معاطف من الجلد، لعلهم كانوا من حراس الغابة. وبلغت بهما السيارة مكانًا يشرف عليه حصن مشيَّد على صخرة شامخة. وكان جانب منه خربًا، وجانب قد أعيد بناؤه وإصلاحه، وكان في ضخامته يمثل سلطان الماضي.

وسمع "**ريناتا**" تقول:

– لقد كان هذا البناء في البداية مقرًا لدوقية "**ليختنشتولز**". وقد شيد الحصن الغراندوق "**لودفيج**" عام 1790.

– ومن الذي يقيم به الآن، الغراندوق الحالي؟

ـ كلا، لقد انقرضوا جميعًا.

ـ ومن يقيم بالحصن في الوقت الحاضر؟

ـ واحد من ذوي السلطان في أيامنا هذه.

ـ سلطان المال؟

ـ تقريبًا.

ـ أتراه السيد "**روبنسون**" وقد سبقنا جوًا إلى هنا؟

ـ إنه آخر من ستلتقي به هنا. كن واثقًا بذلك.

ـ يا للأسف. لقد أعجبت بالسيد "**روبنسون**". ما حقيقة أمره؟

ـ لا أعتقد أن أحدًا يعرف الإجابة عن هذا السؤال. وإنك لتسمع الأقوال المتضاربة عن حقيقة أمره. فالبعض يقول إنه تركي، والبعض يقول إنه أرمني، وآخرون يقولون إنه هولندي، وغيرهم يقول إنه إنجليزي. وهناك من يقول إن والدته شركسية، أو هندية، إلى آخر هذه الأقوال المتضاربة والتكهنات التي تزيد الأمور غموضًا.

وتوقفت بهما السيارة أمام باب ضخم. وأسرع إليهما اثنان من الخدم بزيهم الخاص. وقام الخادمان بعد أداء التحية بحمل حقائبهما العديدة إلى الحصن وإلى الغرفة المخصصة لكل منهما.

وعادا ليلتقيا قبل العشاء.. فوقف "**ستافورد**" في البهو في انتظارها بعد أن رآها تهبط الدرج في جلال وبهاء.. وتقدمهما أحد الخدم، ليفتح الباب على مصراعيه معلنًا:

ـ الكونتسة "**زركوفسكي**"، السيد "**ستافورد ناي**".

ومهما يكن من أمر ما كان يتوقع رؤيته، فإنه لم يكن ليجول في خاطره أنه سيرى ما رأى.. لقد وجد نفسه في قاعة فخمة، فسيحة، مؤثثة بأفخر الرياش والطنافس، وقد ثبتت إلى جدرانها لوحات لأشهر الرسامين العالميين.

وفوق أحد المقاعد الكبيرة الذي يبدو وكأنه عرش عظيم، كانت تجلس سيدة ضخمة، بدينة مكتنزة الوجه. ترتدي ثوبًا من الساتان البرتقالي، وتضع على رأسها تاجًا مرصعًا بالأحجار الكريمة، وكان في كل أصبع من أصابع يديها خاتم من السولتير الرائع، النادر الوجود. ورغم كل هذا الجلال والبهاء، وما أحاطت به نفسها من فاخر الرياش، كان "**ستافورد ناي**" يراها بشعة، وهي تصعده بعينيها السوداوين اللتين تشعان دهاء وذكاء. ودار بخلده لتوه هذا التساؤل عن السبب في كل ما مر ويمر به. وظلت أنظارها متعلقة به، وكأنها عميل يحاول تقييم سلعته. ثم انبرت قائلة:

– لقد حافظت على موعدك يا صغيرتي.

وكان صوتها خشنًا عميقًا. وتقدمت منها "**ريناتا**" تحييها بانحناءة، وتطبع على يدها قبلة الخضوع، وهي تقول:

– دعيني أقدم لك السيد "**ستافورد ناي**".. الكونتسَّة "**شارلوت فون فالدشوسين**".

ومدت السيدة له يدها، فامسك بها يحييها تبعًا للتقاليد الأجنبية. ثم فوجئ بها تقول:

– إنني أعرف عمتك الكبرى.

فوقف يحملق إليها ولم يحر جوابًا. وخيل إليه أنها استمتعت بهذه المفاجأة وبوقعها عليه.

ورآها تضحك قائلة:

– فلنقل إنه كانت لي بها معرفة سابقة. لقد مرت أعوام كثيرة دون أن نلتقي. لقد كنا معًا في "**سويسرا**"، بـ"**لوزان**"، في عهد الصبا. إنها أكبر مني سنًّا. أتراها في صحة جيدة؟

– بالنسبة لسنها، يمكن أن أجيب بأنها في صحة جيدة.

– هل تعرف شيئًا عن زيارتك لي؟

– ليست لديها أية فكرة عن هذه الزيارة. إنها تعرف فقط أنني كنت مدعواً إلى مهرجان للموسيقى العصرية.

– أرجو أن تكون قد استمتعت بهذه الموسيقى؟

– غاية الاستمتاع. وكانت دار الأوبرا رائعة.

– لقد أنفق في سبيل هذه الدار الكثير.

وسمعها تذكر رقما يبلغ الملايين من الماركات. ورآها قريرة العين بما كان للرقم الكبير من وقع في نفسه. واستطردت قائلة:

– بالمال، وبالمعرفة، وبالمقدرة، وبحسن التمييز، يفعل المرء كل شيء. وبالمال تحصل على أحسن الأشياء.

فقال وهو يتطلع فيما حوله:

– هذا ما ألمسه هنا.

وجاءوا بمنضدة المشروبات. وتبين للسيد "**ستافورد ناي**" أن سيدة الجبل لا تحتسي المشروبات للسيد. وسمعها تسأل:

– وأين التقيت برجلنا؟

– في السفارة الأمريكية بـ"**لندن**".

– أجل، هذا ما قيل لي. وكيف حال – لقد نسيت اسمها – آه.. "**ميللي جين**"، جذابة أليست كذلك؟

– ساحرة. لقد صادفت نجاحًا كبيرًا في "**لندن**".

– و"**سام كورتمان**" البليد الخامل، سفير "**الولايات المتحدة**"؟

فقال "**ستافورد ناي**" في لباقة:

– إنه رجل متزن، معقول.

فاطلقت ضحكة استخفاف وهي تقول:

– إنه رجل كيس، أليس كذلك؟ فليكن، لا باس به حيث هو. إنه يصدع بما يؤمر به كرجل سياسي ويمكن لـ"**ميللي جين**" أن تقوم عنه بما لا طاقة له به. وإن لها من ثروتها خير سند. فوالدها يمتلك نصف آبار بترول "**تكساس**"، علاوة على مزارعه ومناجمه الأخرى. إنه مثال حي لكبار الأثرياء الأمريكيين.. ورغم ذلك، فإنها تتحلى بالبساطة، مع أرستقراطية متزنة. وأنت؟ إنك لست من الأثرياء كما يبدو؟

– كنت أرجو أن أكون منهم.

– إن وزارة الخارجية لم تعد في أيامنا هذه كريمة، ولكنها تتيح لمن يعمل بها مشاهدة الكثير من البلاد، والاجتماع بكثير من الناس، والطواف بأنحاء العالم ليرى ما يحدث فيه. بعض ما يحدث.. وليس كل ما يحدث.

– قد يكون هذا من المتعذر.

– ألم تعتمل في نفسك الرغبة في رؤية ما يجري وراء الستار؟

– أحيانًا يدور في خلدي شيء من هذا القبيل.

– لقد سمعت ما يقال عنك وعن خواطرك ورأيك في بعض الأمور. إنها ليست مما تعارف الناس عليه.

– لقد شعرت أحيانًا بأنني شرير الأسرة.

وكان "**ستافورد**" يضحك وهو يقول هذا. وشاركته "**شارلوت**" ضحكته.

ثم فجأة سألته:

– ماذا تريد من الحياة أيها الرجل؟

– لا شيء. لست أبالي بشيء.

– هيا، هيا.. أوتريد مني أن أصدق هذا؟

– أجل، يمكنك أن تصدقي هذا. فلست بالرجل الطموح. أترينني أبدو غير ذلك؟

– كلا، في الواقع.

– إن كل ما أبغيه من الحياة هو أن أستمتع بها في دعة، وفي اعتدال، وفي مسرة.

واعتدلت السيدة في مقعدها، وفتحت عينيها وراحت تحدجه بنظراتها قبل أن تقول في صوت مختلف النبرات:

– هل في وسعك أن تكره؟ هل تعرف الكراهية؟

– في الكراهية تبديد للعمر.

– فهمت. فهمت. لست أرى في وجهك ملامح السخط وعدم الرضا. هذا حق. إنني أرى فيك الرجل المستعد لأن يسلك سبيلا معينًا ينتهي به إلى مكان معين، وهو يمضي فيه مبتسمًا، وكأنه لا يعبأ بشيء. وفي نهاية الأمر إذا ما وجدت من يأخذ بيدك مخلصًا، فإنك سوف تحصل على ما تريد، إذا ما كانت لك هذه الإرادة.

– ومن ذا الذي لا يريد ذلك؟ إنك نافذة البصيرة، وترين الكثير.

وحينئذ فتح الباب على مصراعيه ليعلن الخدم إعداد العشاء. وكان بديهيًّا أن يكون العشاء ملكيًّا، في قاعة طعام فاخرة بكل ما تعنيه الكلمة من ترف وأبهة وروعة. وأحاطت بصاحبة الفخامة سيدتان وقد عقصتا شعرهما الأشيب فوق رأسيهما، ورأى السيد "**ستافورد**" أنهما بمثابة وصيفات الشرف. وكان بالقاعة حرس خاص من الرجال العمالقة المرتدين زيًّا خاصًّا، وما إن خطت "**شارلوت**" إلى القاعة، حتى شهر الرجال سيوفهم بحيث تلتقي أطرافها أعلى رأس "**شارلوت**" التي خطرت تحتها في جلال وعظمة، متجهة صوب مقعدها المطعم بالذهب عند رأس المائدة المستطيلة. ترى ما حقيقة هذه المرأة؟ ومن عساها أن تكون؟ وماذا تفعل هنا؟

ووفد آخرون للاشتراك في تناول العشاء، وهم يرتدون ثياب السهرة. وبعد أن

أدوا التحية الواجبة للجالسة فوق عرشها إلى رأس المائدة، اتخذ كل منهم مكانًا له، دون القيام بإجراءات التعارف المرعية.

وأثناء تناول الطعام المتعدد الأصناف، سمع صوت في الخارج. صوت محرك قوي لسيارة سباق. وأعقب الصوت، صوت جماعي صادر عن الحرس الخاص: "هايل"! "هايل فرانز".

وأتى الحرس الخاص بحركة عسكرية منتظمة. ونهض الجميع وقوفًا، فيما عدا سيدة الحصن فساد القاعة جو من الإثارة. وأسرع سائر الضيوف بالانسحاب. وتقدم رجال الحرس من السيدة العظيمة يحيونها التحية العسكرية بالسيوف، ثم انسحبوا بدورهم بعد أن أومأت إليهم سيدتهم بالموافقة. وبعد مغادرتهم الغرفة، اتجهت السيدة بنظرها إلى "ريناتا"، ومن بعدها إلى "ستافورد ناي" قائلة:

– ماذا ترون فيهم؟ هؤلاء الشبان البسلاء.

فقال "ستافورد ناي" معقبًا:

– إنهم في غاية الروعة يا سيدتي. إنهم الروعة مجسمة.

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة الرضا، ولم تزد الابتسامة وجهها سوى بشاعة، يا لها من امرأة مرعبة! إنه ما كان يصدق سماعًا أن مثل هذه الأمور تجري، وأن مثل هذا الحصن موجود بكل ما فيه.

وفتح الباب على مصراعيه ثانية، وأقبل شباب الحرس ثانية ولم يكونوا شاهري سيوفهم بل أقبلوا ينشدون لحنًا جميلاً في أصوات متسقة النبرات، مدربة أحسن تدريب. وكان اللحن من الألحان المألوفة لديه. وكان يصاحب الإنشاد عزف موسيقي صادر من حيث لا ترى فرقته. وكان اللحن من ألحان "فاجنر". واصطف رجال الحرس تأهبًا لاستقبال القادم الذي تجلس سيدة الدار في انتظاره.

وأخيرًا أقبل الوافد المنتظر. وتغير الإنشاد إلى ذلك اللحن الذي يعيه "ستافورد ناي" عن ظهر قلب. لحن "سيجفريد الشاب".

وعبر الباب، وبين صفي الاتباع المخلصين، تقدم شاب من أكثر الشبان وسامة، لم يسبق لـ"**ستافورد ناي**" أن وقعت عيناه على ند له من قبل. ذهبي الشعر، أزرق العينين، مكتمل الجسم وكأنه فارس من فرسان الأساطير والخيال، بكل ما يحيطهم من بهاء، وعنفوان، وزهو.

وخطا بخطوات ثابتة بين صفي الحرس الخاص، إلى أن وقف أمام السيدة المتربعة على عرشها وركع على إحدى ركبتيه، وأمسك بيدها يطبع عليها قبلة التبجيل، ثم اعتدل ناهضًا، مادًا ذراعه مرددًا تلك التحية التي سمعها السيد "**ستافورد**" من الآخرين، "**هايل**"! ولم تكن ألمانيته واضحة كل الوضوح، وإن تبين فيها "**ناي**" عبارة ""**هايل**" للأم العظيمة!"

ثم تلفت القادم الوسيم فيما حوله. وبدا وكأنه تعرف على "**ريناتا**". ثم استقرت عيناه على "**ستافورد ناي**" ولاح فيهما وميض الاهتمام والتقدير. وترددت في ذهن "**ستافورد ناي**" كلمة الحذر! ودار بخلده أنه يجب أن يؤدي دوره خير أداء.. دوره المرتقب منه. ولكن ماذا عساه أن يكون هذا الدور على وجه التحديد؟ وفيم كان مجيئهُ بصحبة هذه الفتاة إلى هنا؟ لماذا؟

وأخيرًا نطق البطل:

– هكذا، أرى ضيوفًا! مرحبًا بكم.

قال ذلك في لهجة من يرى في نفسه أنه من طراز متفوق على غيره، في نبرات كلها صلف وكبرياء وغطرسة.

وسمعت عن بعد دقات ناقوس كبير. دقات متميزة لها رنينها المختلف. وانبرت "**شارلوت**" العجوز قائلة:

– يجب أن نأوي إلى فراشنا الآن. وسنعود للاجتماع معًا غدًا صباحًا في تمام الحادية عشرة.

وتطلعت إلى كل من "**ريناتا**" و"**ستافورد ناي**" مستطردة:

– أرجو لكما نومًا هادئًا.

وكان هذا بمثابة أمر ملكي بالانصراف. ورأى "**ستافورد ناي**" ذراع "**ريناتا**" يرتفع بالتحية الفاشية، ولكنها لم تكن موجهة إلى "**شارلوت**"، بل كانت موجهة إلى البطل الذهبي الشعر، قائلة: "**هايل فرانز جوزيف**"فحذا حذوها قائلاً: " "**هايل**" !"

وتحدثت إليهما "**شارلوت**" قائلة:

– هل تحبان أن يبدأ يومكما غداً بالركوب في الغابة؟

فقال "**ستافورد ناي**" :

– بودي لو تحقق لي هذا.

– وأنت يا صغيرتي؟

– أجل، وأنا أيضاً.

– حسن، ساصدر أمري بإعداد كل شيء. طابت ليلتكما. ويسرني أن أرحب بكما هنا. "**فرانز جوزيف**" – إليّ بذراعك. سننتقل إلى الغرفة الصينية؛ إذ لدينا الكثير مما يجب أن نتدارسه قبل أن ترحل في صباح الغد.

وقاد الخدم "**ريناتا**" و"**ستافورد ناي**" كلاً إلى جناحه. وتردد "**ناي**" قليلاً قبل أن يخطو إلى جناحه.. ترى، هل يستطيع أن يتبادل معها كلمة أو كلمتين؟ ولكنه عدل عن هذا بعد لحظة. إن من الخير لهما أن يتوخيا الحذر، طالما ضمتهما جدران هذا الحصن. من يدري؟ فقد تكون الغرف مزودة بالميكروفونات.

# - 11 -

بعد أن تناول "**ستافورد**" طعام إفطاره في صباح اليوم التالي بغرفة الطعام الصغيرة بالطابق الأرضي وجد "**ريناتا**" في انتظاره. وكانت الجياد معدة لهما أمام الباب.

ورأى "ريناتا"، بعد أن امتطيا صهوة الجياد، تتحدث إلى الصبي الذي كان يمسك بزمامها. والتفتت "ريناتا" إلى "ستافورد" قائلة:

– كان يسألني عما إذا كنت أحب أن يصحبنا فقلت له كلا؛ إذ إنني أعرف المكان جيداً.

– هل ترددت على هذا الحصن من قبل؟

– ليس في السنوات الأخيرة. كان ذلك في مطلع حياتي.

فرمقها بنظرة حادة، ولكنها أشاحت عنه بوجهها. وراح يتأمل وجهها الجانبي معجبًا بأنفها الأقنى، وبرأسها الشامخ في اعتزاز بالنفس، فوق جيدها الجميل. وكان يشعر بضيق نفس، لم يعرف له سبباً.. وعادت به الذاكرة إلى استراحة المطار، وإلى المرأة التي أقبلت لتجلس إلى جانبه، وإلى قدح الشراب... لم يكن كل ما حدث في الحسبان. ولقد وجد نفسه – بحكم غريزته – يقبل المخاطرة، وها هي تلك المخاطرة تتطور به لتنقله إلى عالم لا يعرف عن حقيقته شيئًا.

وتوغلا في الغابة ووجد نفسه أخيراً منفرداً بـ"ريناتا" حيث لا ميكروفونات ولا جدران لها آذان. لقد آن الأوان لتوجيه ما يشاء من أسئلة.

– من هي؟ ما حقيقة أمرها؟

– إن الإجابة عن أسئلتك يسيرة. وهي من اليسر بحيث يستعصي عليك تصديقها.

– كيف؟!

– إنها البترول، والنحاس، ومناجم الذهب في جنوب "إفريقيا"... إنها مصانع السلاح في "السويد"، ومواقع اليورانيوم في الشمال.. إنها الطاقة النووية. إنها كل هذه الأشياء معًا.

– ومع ذلك، فلم أسمع بأمرها من قبل، ولست أعرف شيئًا عمن عساها ان تكون.

– لأنها لا تريد ذلك.

– أو يمكن كتمان مثل هذه الأمور؟

– يمكن، فالمال يصنع كل شيء.

– ولكن، من هي فعلاً؟

– كان جدها أمريكيا، وقد تزوج من ألمانية. أعتقد أنك سمعت عنها. "**بيج بيلندا**"، وكانت تمثل مصانع السلاح، والسفن، وقدراً كبيراً من ثروة "**أوربا**" الصناعية. وكانت الوريثة الوحيدة لوالدها، فإذا ما جمعت هذه الثروة مع ثروة الزوج الممثلة في السكك الحديدية حينذاك بـ"**أمريكا**" لوجدت المال والقوة والنفوذ والسلطان.

ولقد ورثت صاحبتنا هذا كله، واستزادت منه، وحالفها الحظ وحسن الطالع. إن المال أتي بالمال.

– أعرف هذا. ولكن، ماذا تريد؟ وماذا تبغي؟

– السلطان، والقوة.

– وهل تقيم هنا؟

– إنها تقوم بزيارات لـ"**أمريكا**" ولـ"**السويد**" من آن لآخر. ولكنها تفضل الإقامة هنا، في هذا الحصن الذي يعد بمثابة مركز نسيج العنكبوت، حيث تمسك بخيوطه وتسيطر عليها. وهي خيوط من المال، والفنون، والموسيقى، والتصوير، والأدب.

– كل هذا بين يدي امرأة عجوز، مترهلة، بشعة. وهل هي قانعة بكل ذلك؟

– ليس بعد، وإن كانت بسبيل هذا.

– وماذا تريد علاوة على كل ذلك؟

– إنها تحب الشباب. إنها ترى فيهم نموذجًا للقوة. والعالم زاخر بالشباب المتمرد الثائر وهي تستهدف السيطرة عليهم.

– وكيف سيتسنى لها ذلك؟

– لست أدري على وجه التحديد. إنه تجمع هائل، له شعبه وفروعه التي تسانده، وتموله بوسيلة أو بأخرى. وهو لم يستكمل بعد تنظيمياً. إنه بمثابة رسالة لتحقيق الأماني والآمال الموعودة كتلك التي تعلقت بها جماعات كثيرة كجماعة المخدرات.

– وهل لها علاقة بتعاطي المخدرات؟

– كوسيلة لإخضاع الناس لإرادتها، أو للقضاء عليهم.. على الضعفاء منهم وبالتحديد على من ترى أنه لا نفع منهم. أما هي، فإنها لا تتعاطى المخدرات، ولا تقربها. إنها قوية ذات شخصية، والمخدرات داء الضعفاء من الناس.

– وماذا عن القوة؟ إن مجرد الدعاية لا يكفي لبلوغ الهدف.

– كلا، بكل تأكيد. إن الدعاية هي المرحلة الأولى، ومن بعدها التسليح. تلك الكميات الهائلة من الأسلحة التي تزود بها الدول المحرومة وغيرها. دبابات ومدافع وأسلحة ذرية ترسل إلى "إفريقيا" و"أمريكا الجنوبية"، حيث يتدرب الشباب ذكوراً وإناثاً استعداداً لما هو آت.

– لكأنني في كابوس ثقيل! كيف أحطت علماً بكل هذا؟

– لأنني في الصورة كأداة من أدوات الجماعة.

– أنت؟ كيف كان اتصالكما؟ أنت وهي؟

– وراء كل مشروع من التوافه ما يدعو للعجب.

ثم أطلقت ضحكة وهي تستطرد قائلة:

– فإذا ما علمت بأنها كانت على علاقة حب بجدي، لأدركت الكثير مما يقع في هذه الحياة من مصادفات القدر. وكان جدي يقيم في هذه البقعة من العالم. وكان له حصن على بعد ثلاثة كيلومترات من هنا.

– وهل كانت له مواهب خاصة؟

– أبداً. كان رجلا رياضيًا، وسيمًا، يحظى بإعجاب النساء؛ ولذلك فإنها تنصب من نفسها وصية عليّ، وتعدني إحدى اتباعها أو عبيدها! فعليّ أن أعمل من أجلها وأصدع بامرها.

– هكذا؟

وتطلع إلى "ريناتا" واستعاد في ذهنه ما كان في المطار. إذن، فهو يعمل الآن مع "ريناتا". وهي التي جاءت به إلى هذا الحصن. ترى بامر من اصطحبته إلى هذا المكان؟ هل هي "شارلوت" البدينة التي امرتها بان تصطحبه إلى بيت العنكبوت ؟ لقد كان معروفًا عنه في الأوساط الدبلوماسية أنه غير رصين، وقد تكون هذه السمعة هي التي حدت بهؤلاء القوم إلى محاولة الانتفاع به في إحدى النواحي ثم كانت "ريناتا" هي اداتهم لتنفيذ بغيتهم، مستغلة نواحي ضعفه.

وسمعها تقول له:

– لنعد أدراجنا.

– ولكنني لم أستفسر منك عن حقيقة وضعك من العملية بأسرها .

– أنا من تؤمر فتطيع.

– ممن؟

– من المعارضة.. ممن يرتابون في كل ما هو جار وما سيجري من تغييرات في هذا العالم.

– "ريناتا"، هلا زدتني إيضاحًا؟

– لقد أوضحت.

– من "فرانز چوزيف"؟

– إنه الشاب الذي رأيناه ليلة أمس.

– أهو اسمه؟

– إنه الاسم الذي يعرف به.

– واسمه الآخر؟ أهو "**سيجفريد الشاب**"؟

– أهذا رأيك فيه؟

– بلى. مثال الشباب.. الشباب البطولي. الشاب الآري، المتفوق على سائر ما عداه من أجناس. ترى ما عمله على وجه التحديد؟ ما عمله علاوة على تقبيل يد سيدته؟

– الخطابة. إنه خطيب أوتي المقدرة على التأثير في مستمعيه وامتلاك ناصيتهم ودفعهم حتى إلى الموت.

– أحقًّا ما تقولين؟

– هذا ما يؤمن به.

– وأنت؟ ما رأيك؟

– قد يكون هذا حقًّا. إن للخطابة تأثيرها الخطير. إنها موهبة تتطلب سحراً خاصًّا وجاذبية قوية. إن لنبرات صوته رنينا خاصًّا، تبكي له النساء ويفقدن وعيهن.. سترى هذا بنفسك.

– وماذا عليّ أن أفعل.. أو ما الدور المعد لي؟

– أن تتبع دليلك. ودليلك هو أنا. إنني سآخذ بيدك إلى الجحيم، وساطلعك على ما لم يخطر لك ببال.

– وهل يجب أن أوليك ثقتي؟

– هذا متروك لك. إن لك الخيار بين أن توليني ظهرك أو أن تمضي معي قدماً.

– بقي سؤال يحيرني. لقد أمرتك "**شارلوت**" بأن تجيئي بي لزيارتها.. لماذا؟ ماذا تعرف عني؟ وماذا تتوقع مني؟

– لست أدري على وجه التحديد، قد تعهد إليك بما يتفق مع نزعتك وميولك.

## - 12 -

غادرا الحصن في منتصف النهار، مودعين مضيفتهما. واستقلا السيارة التي

عبرت بهما الطرق الجبلية، بعيداً عن الحصن بمسيرة عدة ساعات، إلى معقل بين الجبال حيث تعقد الاجتماعات وتقام احتفالات مختلف جماعات الشباب.

و"ريناتا" هي التي جاءت به إلى هنا. أليست دليله المرشد؟ ومن مقعده فوق الصخور العارية راح يتابع ما يجري أمامه ويصغي لما يقال . وبدأ يدرك شيئًا فشيئًا كنه ما كانت تتحدث إليه به في الصباح المبكر. لقد جاءت به ليشاهد هذا الجمع الغفير الذي تزكى فيه نار الحماس فيتدفق كالموج المتلاطم ليهاجم السفارات والجامعات، وليعتدي على رجال الأمن وغيرهم، وليرى بعينيه ويسمع بأذنيه مفهوم هذه العبارة ودلالتها: "**سيجفريد الشاب**".

وكان "**فرانز جوزيف**"، إذا ما كان هذا هو اسمه، يخطب في الجموع المختلفة، ولصدى صوته الذي كان طوع أمره وقعه في آذان المستمعين وتأثيره العميق في قلوبهم. وكانت استجابتهم لما يصدر عنه واضحة بينة. وكانوا كأفراد الفرقة الموسيقية أمام قائدها يتبعون عصاه أينما وجهتهم. ومع ذلك فلم ينطبع من كلماته في ذهن "**ستافورد ناي**" شيء، ولم يكن لأي منها معناه العميق. وبعد أن فرغ الخطيب من إلقاء خطابه، كان الصياح الصادر من الحناجر، وصراخ الفتيات اللاتي أغمي على بعضهن. يا له من عالم! عالم تأجج المشاعر. لا يبالي بشيء.

وبلمسة من يد دليلته، تبعها لينسحبا بعيداً عن الحشد المائج. واستقلا سيارتهما إلى إحدى المدن الجبلية حيث توقفا أمام فندق سبق أن حجزت لهما به غرفتان.

وغادرا الفندق بعد قليل سيراً على الأقدام إلى أن اتخذا لهما مجلسًا فوق منحدر الجبل. وهنالك جلسا في صمت، يتطلعان إلى الوادي في تأمل عميق. وبعد حوالي خمس دقائق انبرت "**ريناتا**" قائلة:

– ما رأيك فيما شاهدت؟

– لم أقتنع بشيء منه.

– هذا ما كنت أتوقع سماعه منك.

– إنه مجرد عرض محكم الإخراج. وتلك المرأة هي التي تموله وتدفع للمخرج أجره. ولكننا لم نر المخرج اليوم. إن من رأيناه هو النجم فقط.

– إنه ليس بأكثر من ممثل. ممثل من الدرجة الأولى، أحسن توجيهه و...

وضحكت "ريناتا"، ونهضت واقفة. وقالت في سعادة وسخرية واضحتين:

– كنت أعرف ذلك. كنت أعرف رأيك مسبقًا. إن لك خبرة واسعة بالحياة. لقد أوتيت المقدرة على حسن تقييم كل شيء وكل شخص. وليس ثمة من حاجة لذهابك إلى "ستراتفورد" لمشاهدة مسرحيات "شكسبير" لتعرف دورك – إن الملوك وعظماء الرجال يجب أن يلحق ببلاطهم مهرج – مهرج الملك الذي يصارح مليكه بالحق، ويجعل مما يقوله الناس ويفعلونه مادة للضحك.

– إذن، فهذا هو دوري، أليس كذلك، مهرج البلاط؟

– ألم تتبين هذا بنفسك؟ إن هذا هو ما نريده وما نحن بحاجة إليه. "الورق المقوى". التدليس بأحلى معانيه! إن الناس يؤخذون بالظواهر، فيرون هذا الشيء رائعاً أو يرونه شرًا، أو يرونه بالغ الأهمية. وفي جميع الأحوال لا يكون هذا هو الوصف المطبق عليه. وعلينا أن نهتدي إلى الوسيلة التي بين بها للشباب المخدوع أن كل هذا باطل الأباطيل. وهذا ما نحن بسبيل القيام به.

– أهذا هو رأيك. أن نقوم في نهاية الأمر بقلب الأمور رأسًا على عقب؟

– قد يبدو فعلاً أن هذا مستبعد. ولكنك يجب أن تعرف أنه بمجرد أن يلمس الشباب أن الأمر ليس بالحقيقي...

– هل تزمعين القيام بمهمة الواعظ؟

– كلا، بداهة، فما من أحد يصغي إلينا. إن علينا أن نقدم إليهم الدليل، الوقائع، الحقائق.

– ألدينا من ذلك الكفاية؟

– نعم. ما كنت أحمله معي في "**فرانكفورت**" وما أعنتني على السفر به في أمان إلى "**إنجلترا**".

– لست أفهم شيئًا مما تقولين.

– ليس بعد.. سوف تفهم في الوقت المناسب. إن كل ما علينا الآن أن نفعله هو أن نؤدي دورنا المعين. ونحن الآن مستعدون له. إننا نمجد الشباب. ونحن من أتباع الشاب "**سيجفريد**" المؤمنين به.

– لك أن تحكمي بذلك على نفسك. أما عني فلا. هذه هي دخيلة نفسي التي لا أظن أن أحداً منهم سيعرف عنها شيئًا.

– بكل تأكيد لا. ووصيتك بألا تكشف عن خبيئة نفسك.

– ما زلت غير مدرك لدوري على وجه التحديد.

– إنه دور الساخط التقليدي. إنك لم تقدر حق قدرك في الماضي، ولقد وجدت في "**سيجفريد**" الشاب ودعوته ما أعاد لك الأمل في مستقبل باسم؛ لأنك تؤمن به وبأنه سيضعك في المكان المناسب الذي يحقق أمانيك بعد تغير الأحوال في هذا العالم.

– هل تلمحين لي بأنها حركة عالمية؟

– بكل تأكيد، إنها لكذلك. إنها حركة عاصفة يراد بها أن تأتي على كل شيء.

وهذا ما يريده الناس في كل مكان. أجل، إنها حركة عالمية، يقوم بها الشباب بكل ما فيهم من حيوية. إنهم لم يؤتوا المعرفة، وليس في ماضيهم من التجارب ما يتسلحون بخبرته، ولكنهم مزودون بالنشاط يساندهم المال ويشد من أزرهم. إنهم يتطلعون إلى مستقبل، سداه العلم ولحمته اليقين..

فقاطعها السيد "**ستافورد ناي**" بقوله:

– بودي لو عرفت شيئًا.

– وما هو؟

– ما وجهتنا بعد ذلك؟

– "**أمريكا الجنوبية**". وربما عرجنا على "**باكستان**" أو "**الهند**" في طريقنا. كما يجب أن نذهب إلى "**الولايات المتحدة**". إن فيها من الأمور ما هو مشوق حقًّا وبالذات في "**كاليفورنيا**".

– الجامعات؟ الجامعات ثانية؟ تلك الأحداث المتماثلة؟

وران عليهما صمت مطبق. وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب، وقد انعكست أشعتها الحمراء على قمة الجبل فبدا المنظر رائعًا أخاذًا. وأخيرًا قال "**ستافورد ناي**" وقد حفل صوته بنبرات الحنين والشوق:

– هل تعرفين ما أحب سماعه في هذه اللحظة بالذات من موسيقى؟

– موسيقى "**فاجنر**"؟ أم لعلك تحررت من آثارها؟

– كلا.. إنه "**فاجنر**" من تأسرني ألحانه. لكم كان بودي أن أشاهد "**هانز ساكز**" جالساً تحت شجرته العتيقة، متجهًا بحديثه إلى العالم: «عالم مجنون. مجنون، مجنون».

– أجل.. هذا خير تعبير سمعته. موسيقى هذا الموقف جد جميلة. ولكننا لسنا بالمجانين. إننا جد عقلاء.

– في غاية الاتزان والعقل. وهذا بيت الداء.

# - 13 -

كانوا خمسة رجال جالسين في غرفة بـ"**باريس**". وقد شهدت هذه الغرفة اجتماعات تاريخية من قبل، وكان هذا الاجتماع فريداً في بابه، إلا أنه لا يقل أهمية عن سابقيه.

وكان السيد "**جروجيان**" رئيس الاجتماع رجلاً قلقًا يبذل أقصى ما في وسعه

ليمر مرور الكرام على الأمور، ويعالجها بروح ساخرة كانت له خير عون في الماضي، ولكنها أصبحت غير ذات جدوى في أيامنا هذه. وكان السيد "**فيتالي**" قد وصل من "**إيطاليا**" عن طريق الجو منذ ساعة. ولم يكن ليهدأ له بال أو يستقر له قرار.

وراح يردد:

– لقد تجاوزوا كل الحدود. إن هذا أكثر مما يخطر على بال.

فيردف السيد "**جروجيان**" قائلاً:

– هؤلاء الطلبة.. هذا ما نعانيه جميعًا.

– لقد بلغ الأمر حد الخطورة. إنهم التربة الصالحة للإثارة والضحايا الطيعة لكل من يريد استغلالهم.. إنهم مازالوا صبية صغاراً لم يشبوا بعد عن الطوق. صبية يزودونهم بالأسلحة والقنابل والمتفجرات. وعددهم في مدينة مثل "**ميلانو**" يفوق عدد رجال الشرطة. ترى ماذا نحن فاعلون؟ وإلى أين نحن مسوقون؟

وزفر السيد "**جورجيان**" قائلاً:

– إن الفوضى من الأمور الشائعة بين الشباب. إنهم يعتنقونها مبدأ. هذا هو دأبهم.. شباب، وعدم شعور بالمسؤولية، إلى آخره.

ويردف السيد "**بواسونييه**" قائلاً:

– الطلبة.. إنهم مصدر المتاعب.

وكان الرجل عضواً في الحكومة الفرنسية التي عانت من الطلبة الكثير. وكانت عقدة الطلبة هي ما يقض مضجع السيد "**بواسونييه**".

وانبرى السيد "**جروجيان**" متسائلاً:

– وقضاتنا؟ ماذا دهى السلطة القضائية؟ إنهم لا يوقعون بالشباب العقوبات الرادعة، ولا يأخذونهم بالشدة والصرامة الواجبتين.

إننا يجب أن نجهر بالقول ولا نخشى أحداً.. إنني أشم رائحة المال، وإن كنت لا أعرف له مصدراً. ثمة أمور تجري في الخفاء، يراد بها إفساد شئون هذا البلد. إن

كل ما تسنى لي أن أعرفه، هو أن هذه الأموال واردة من الخارج.

فقال السيد "**فيتالي**" :

– وهذا هو الحال في "**إيطاليا**" . ترى من ذلك الذي يريد إفساد العالم؟ أية جماعة هذه؟

فعقب السيد "**جروجيان**" بقوله:

– هذه الظاهرة يجب أن تتوقف فوراً. ويجب أن نعمل على ذلك جادين، غير مدخرين وسعًا. يجب القضاء على هذه الفوضى قبل أن يستشري أمرها .إنني أعرف أنهم يتلقون كميات كبيرة من مختلف الأسلحة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبل منه سكرتير السيد "**جروجيان**"وعلى وجهه دلائل الانفعال فقال له السيد "**جروجيان**" ممتعضًا:

– ألم أقل إنني لا أريد أن يقاطعنا أحد؟

– بلى يا سيدي الرئيس، ولكن الأمر غير عادي.

واقترب من رئيسه هامساً:

– المارشال هنا. وهو يلح في طلب الإذن بالدخول.

– المارشال؟ تعني...

ولكنه لم يتم عبارته، إذ فتح الباب وأقبل منه رجل معروف للجميع. رجل لم تكن كلمته هي القانون فحسب، بل كانت فوق القانون في "**فرنسا**" لعدة أعوام مضت. وكانت رؤيته مفاجأة مذهلة لمن ضمتهم الغرفة. وبادرهم المارشال قائلاً:

– تحياتي لكم زملائي الأعزاء. لقد جئت لأعاونكم. إن بلادنا في خطر، وعلينا أن نسرع بالعمل وقد جئت لأضع خدماتي تحت أمركم، وإني لمتحمل كل المسؤوليات، وإنقاذ "**فرنسا**" فوق كل اعتبار.

إن الموقف لم يعد يحتمل الكلام. إنهم يجتمعون.. هؤلاء الطلبة الذين تندس بينهم جماعات من ذوي السوابق والقتلة والمجرمين. ولقد بعثت في طلب فرقتين،

وأخطرت القوات الجوية. إن هذه الثورة يجب أن تخمد فوراً. إنها خطر ماثل يهدد الرجال والنساء والأطفال والممتلكات. وسأحاول التحدث إليهم كوالد أولاً، ولن أفرق بين الطلبة وبين من يندس بينهم من مجرمين بادئ ذي بدء. إن الطلبة ومن يلوذ بهم، هم شباب "فرنسا"، وعدة مستقبلها. هذا ما سأحدثهم به، علاوة على ما سأمنيهم به من وعود. وسيكون هذا باسمكم وباسم الحكومة.

– مارشال، ولكنك قد تعرض نفسك للتهلكة. يجب أن..

وخطا المارشال صوب الباب، قائلاً:

– إن هيئة الأركان في الخارج. وفي انتظاري حرسي الخاص. وإنني ذاهب إلى هؤلاء الشبان الثائرين، إلى زهرة شباب البلاد؛ لأبصرهم بواجبهم.

واختفى عن أنظارهم في عظمة.

– رباه! إنه يعني ما يقول.

وأردف السيد "**فيتالي**" بقوله:

– إنه يخاطر بحياته. إنه رجل مقدام. ولكن، من يدري؟ ماذا سيكون موقف الشباب الثائر منه ؟ إنهم قد يغتالونه.

## - 14 -

في قاعة اجتماعات مجلس الوزراء البريطاني برقم 10 "**دوانـنج ستريت**" كان "**سيدريك لازنباي**"، رئيس الوزراء، جالساً إلى رأس المائدة يتأمل المجلس المجتمع وهو ممتعض الوجه متجهمه. وكان يجد في الانطلاق بمشاعره تسرية له، الأمر الذي لا يتيسر له خارج قاعة المجلس.. وقد كان لزاماً عليه، بحكم منصبه الخطير، أن يبدو بمظهر المتفائل، المنشرح الصدر، مهما يكن من أمر ما يعترضه من أزمات سياسية.

وتأمل "**جوردون شيتويند**" الذي كان مقطب الجبين والسيد "**جورج باكهام**"

البادي القلق الشارد الذهن، كما تنقل بعينيه بين المارشال الجوي "**كنوود**"، والأمير "**بلانت**"، الذي كان يطرق بأصبعه على المائدة إلى أن يأتي دوره في الكلام. والذي انبرى قائلاً:

– ليس هذا بالأمر الهين.. إن علينا أن نعترف بذلك. لقد خطفت أربع طائرات لنا في الأسبوع الماضي. واتجه الخاطفون بها إلى "**ميلانو**"، وهناك أخرجوا المسافرين منها، ثم أقلعوا بها إلى "**إفريقيا**" حيث كان في انتظارهم بعض الطيارين السود.

فانبرى "**لازنباي**" قائلاً:

– أو الحمر.. فالأمر سيان. قد يكون من الأجدى الاتصال بالروس. وفي الواقع، أنني أرى القيام بزيارة شخصية على مستوى القمة..

فقاطعه الأمير "**بلانت**" بقوله:

– سيدي رئيس الوزراء، من الخير لك أن تلزم مكانك ولا تعود إلى هذه المحاولة. إن ما يجري في بلادنا لا يعنيهم، لأنهم لا يتعرضون لمثله. إن ما يعنيهم هو ما يجري في "**الصين**" فلتبق في بلادك لترعى شئونها.

وهنا انبرى "**جوردون شيتويند**" قائلاً وهو يتطلع ناحية الكولونيل "**مونرو**":

– أليس من الأجدى أن نستمع إلى تقرير عن حقيقة ما يجري؟

–هل تريدون حقائق؟ فليكن. إنها حقائق لا يتطرق الشك إليها. وأعتقد أنكم لا تريدون تفصيلات عما يجري هنا، بقدر ما تريدون ذلك عن الوضع العالمي بصفة عامة؟

– تمامًا.

– حسنٌ.. ففي "**فرنسا**" ما زال المارشال بالمستشفى بعد إصابته برصاصتين في ذراعه. والدوائر السياسية في غاية الانزعاج والقلق. وقد استولت فرق الشباب على نواح كثيرة من البلاد، حيث تمارس سلطانها.

فقال "**جوردون شيتويند**" في فزع:

– تعني أن لديهم أسلحة؟

– والكثير من الأسلحة. ولست أدري شيئًا عن مصدرها. هناك أكثر من وجهة نظر حول هذا الموضوع، ويقولون إن شحنات كبيرة من الأسلحة قد شحنت من "السويد" إلى غرب "إفريقيا".

– وماذا يعنينا من كل هذا؟ فليحصلوا على كل ما يريدون من سلاح في غرب "إفريقيا" وليقتلوا بعضهم بعضاً.

فقال السيد "لازنباي":

– ثمة حقيقة تستلفت النظر. إن هذه الأسلحة قد أعيد تصديرها من غرب "إفريقيا" في مدى خمسة أيام من وصولها. ومن هنا، يتضح لنا أنها لم تكن مرسلة أصلاً إلى غرب "إفريقيا". وإنها قد تكون شحنت بالتالي إلى الشرق الادنى.

– لست أفهم... وإني لاتساءل.

فقال السيد "جورج":

– يبدو أن ثمة منظمة مركزية في مكان ما خلف هذه الإمدادات، وقد لوحظ أن مختلف الأسلحة تسلم إلى قادة فرق الشباب، وزعماء حرب العصابات، والفوضويين الكبار.

وذهل "سيدريك لازنباي" لما سمع قال:

– هل تعني أننا نواجه ما يمكن أن نسميه حربًا على نطاق عالمي؟

ولأول مرة، يتحدث الرجل الآسيوي الوجه الجالس إلى ذيل المائدة، وهو يبتسم ابتسامته المنغولية قائلاً:

– هذا ما نجدنا مرغمين على تصديقه. إن عيوننا تخبرنا.

– هلا أقلعت عن ملاحظاتك؟ سيتولى المختصون كل شيء في "الأمم المتحدة".

ولم تختلج في الوجه الهادئ خالجة. بل قال:

– إن هذا لن يتفق مع مبادئنا.

وواصل الكولونيل "**مونرو**" تلخيص تقريره في صوت مرتفع:

– ثمة قتال يدور في بعض جهات من العالم. في "**آسيا**"، وفي "**إفريقيا**"، وفي نواح أخرى. والقوات المسلحة لجماعة الشباب هي المسؤولة عن كل هذه الاضطرابات. إنك تعرف أن "**سام كورتمان**" أطلق عليه الرصاص وهو يرتقي درج السفارة الأمريكية.

– كان من المفروض أن يشترك معنا في هذا الاجتماع ليدلي إلينا بما لديه من آراء عن الموقف.

فقال الكولونيل "**مونرو**":

– لا أعتقد أن آراءه كانت لتعنينا في كثير أو قليل.

إن قدراته محدودة.

فتساءل "**لازنباي**" وقد احتد صوته:

– ترى، ما اليد التي تحرك كل هذا؟

– قد تكون صينية أو ألمانية... في الواقع أننا لا نعرف على وجه التحديد. إن هذه الحركة ما هي إلا إحياء للروح الفاشية بين الشباب.. وجدير بالذكر أنهم يطلقون على أنفسهم أسماء مثل "**الآريون العظام**" و"**شباب سيجفريد**" إلى آخر هذه الأسماء التي لها دلالتها.

واستأذن السكرتير في الدخول قائلاً:

– البروفيسور "**أكشتاين**" يستأذن في الدخول.

وقال "**سيدريك لازنباي**":

– يحسن أن ندعه يشترك معنا، فقد نسمع منه ما يوضح لنا بعض الأمور، وقد نعرف منه آخر ما توصلوا إليه من أبحاث السلاح.

فانبرى الماريشال الجوي قائلاً:

– قد نستفيد من أي سلاح سري جديد.

وكان البروفيسور "أكشتاين" رجلاً قمعًا لا يبدو عليه أنه قمة العلماء البريطانيين. وكان خجولاً عصبي الحركات. واحتل المقعد الذي عين له، وراح يتطلع فيما حوله، قبل أن يبادره السيد "جورج باكهام" قائلاً:

– إن رؤساء جميع الخدمات موجودون هنا. ونريد أن نسمع منك عما يمكن أن نقوم به.

وخيم السكون على القاعة. وأردف "سيدريك لازنباي" يستحثه:

– يقولون إنك قمت ببعض الاكتشافات المهمة أخيرًا.

فخرج البروفيسور "أكشتاين" عن صمته قائلاً:

– أجل، هذا حدث فعلاً. لقد توصلنا إلى بعض الأسلحة الكيميائية، من كل نوع خطير. وهي تحت أمركم. إنها شديدة الفتك.

– ليس هذا ما نريد على وجه التحديد.

– إني أقرر واقع فاعليتها المرعب. أما ما عدا هذا فمتروك لكم.

واستطرد العالم الكبير في سرد تفصيلات نتائج استعمال الأسلحة البيولوچية الفتاكة التي تفوق سائر ما عداها من أسلحة الدمار، موضحًا مدى خطورتها. وأخيرًا قال له السيد "لازنباي":

– شكرًا، بروفيسور "أكشتاين".

ورأى البروفيسور في هذا الشكر إذنًا له بالانصراف فابتسم للجميع مغادرًا القاعة. وما إن أوصد الباب وراءه، حتى زفر رئيس الوزراء في حرقة. وتساءل "جوردون شيتويند" قائلاً:

– ترى هل ثمة مزيد من العلماء في الانتظار؟

فقال "لازنباي":

– "بايكواي" هنا. ومعه صورة، أو رسم أو خريطة يريد إطلاعنا عليها.

– وماذا عساها أن تكون؟

- لست أدري. وكذلك جاء "هورشام".

فقال "شيتويند":

- قد يكون لديه جديد.

وأقبل الكولونيل "بايكواي"، وكان يحمل بمعاونة "هورشام" خريطة مطوية فضها أمام المجتمعين بحيث يتسنى للجميع إلقاء نظرة عليها.

وقال "بايكواي" موضحًا:

- قد يعطيكم هذا الرسم غير الدقيق فكرة.

ثم أردف:

- "هورشام"، يحسن أن تتولى محاضرتهم. إنك ملم بالفكرة العامة.

قال "هورشام":

- إني لا أعرف أكثر مما قيل لي، هنا رسم هندسي لجماعة السيطرة على العالم.

- بواسطة من؟

- بواسطة هذه الجماعة وتشكيلاتها التي تسيطر على مصادر القوة في العالم.

- وإلى ماذا ترمز هذه الحروف الهجائية؟

- قد ترمز إلى شخص أو إلى جماعة. وهي دوائر تغطي الكرة الأرضية. بمعنى أن ثمة شخصًا أو جماعة تتولى أمر التسليح، وهو ما يرمز إليه بحرف الألف. وحرف الدال يرمز إلى المخدرات وهم لا يبغون بها ربحًا بقدر ما يبغون بها التأثير في الأتباع. واتخاذها وسيلة للقضاء على ضعاف النفوس من الشباب، ممن يظلون عبيدًا لهم. والتاء تعني التمويل. وأهم شخصية ممولة للجماعة هي "شارلوت كروب" التي تتحكم في ثروات طائلة. وترمز السين إلى العلم، وكل ما هو جديد في الحرب البيولوجية. وتنتشر فروع هذه الجماعة في الشرق الأدنى وفي "آسيا" و"أوربا" و"أمريكا الجنوبية" تبعًا لاختصاص كل من هذه المناطق في التوزيع وفي التدريب وفي النشاط. ونحن نطلق على هذا الرسم الهندسي اسم "الحلقة". وقد توصلنا إلى تعرُّف زعماء هذه الحلقة،

باسمائهم الحقيقية أو الحركية، وعلى مراكز قوتهم بقدر الإمكان حسب القائمة التالية:

**الحلقة**

ش – "**شارلوت**" العجوز – "**بافاريا**" – التمويل.

أ – "**إريك أولافسون**" – "**السويد**" – التسليح.

د – "**ديمترويوس**" – "**أزمير**" – المخدرات.

س – دكتور "**سارولينسكي**" – "**كولورادو**" (**أمريكا**) – كيميائي.

أما حرف الجيم، فهو يرمز لامرأة يطلق عليها اسم حركي هو "**جوانيتا**" ويقال عنها إنها امرأة خطيرة ولا يعرف شيء عن اسمها الحقيقي. وبديهي أن تكون مهمتها نضالية.

## - 15 -

جازفت العمة "**ماتيلدا**" بقولها:

– لقد خيل إليّ أنني بحاجة إلى الاستشفاء؟

وقال الدكتور "**دونالدسون**"، وقد بدت في وجهه أمارات الحيرة: الاستشفاء!

فاستطردت السيدة "**ماتيلدا**" موضحة:

– هذا ما كنا نطلقه على رحلاتنا الاستشفائية في الماضي. في "**مارينباد**"، و"**كارلسباد**"، و"**بادن بادن**"، إلى آخر هذه الأسماء. وقد قرأت بالأمس فقط عن هذا المكان الجديد في الصحف. إنه جديد، عصري، حديث. ويقولون إن به كل ما هو مستحدث ومبتكر.

– أعتقد أنني أعرف هذا المكان. إنهم يعلنون عنه كثيراً.

– إن من هم في مثل سني، يحبون رؤية كل جديد، ما رأيك؟

وتطلع إليها الدكتور "**دونالدسون**"، الذي لم يتجاوز الأربعين من سني حياته،

والذي كان في عجب مما تزمعه هذه السيدة التي قاربت التسعين. وأخيراً، تغلبت عليه اعتبارات مهنته فقال:

– قد تكون فكرة صائبة. حقيقة إن السفر متعب وإن كان أقل تعبًا في أيامنا هذه بفضل الطيران.

– قد يكون أسرع فقط، هل يمكن أن يحصل المرء على مقعد متحرك في الطائرات؟

– بكل تأكيد، إنها لفكرة رائعة. إذا ما وعدتني بالا تجهدي نفسك..

– أدرك ما تعني. أعدك بأن أدبر لنفسي كل وسائل الراحة أينما ذهبت.

– سوف تصطحبين الآنسة "ليزيران" معك، بكل تأكيد.

– تعني "آمي"؟ أجل.. إنني لا أستطيع الابتعاد عنها. وأخيراً هل توافق؟

– أرجو لك رحلة طيبة.

– شكرًا، لرقتك، ولتشجيعك. إن التغيير قد يفيدني. فليس ثمة ما يمكن أن أستشفى منه... إنها الشيخوخة والسأم...

– كل ما أرجوه هو ألا ترهقي نفسك.

واستدعت السيدة "ماتيلدا" "آمي"، التي عهدت إليها بأن تأتيها بخريطة من المكتبة تتعرف بها موقع "بافاريا" من البلاد التي تحيط بها. وأسرعت "آمي" تحمل إليها الخريطة. ونظارتها المكبرة.

*****

تلفتت السيدة "ماتيلدا" فيما حولها وراحت تتأمل الغرفة الأنيقة الفاخرة، راضية عن حسن اختيارها؛ لأنها جمعت علاوة على ذلك كل أسباب الراحة والدعة، والقراءة والتسلية القديمة والحديثة.

وبعد قليل، سمعت طرقًا خفيفا. ثم فتح الباب ليطل منه وجه "آمي" المخلصة

تستأذن في الدخول. وأقبلت "آمي" قائلة في صوت هادئ وديع:

– أرجو أن تكوني قد استمتعت بنوم هادئ.

– أجل. هل حصلت على تلك القائمة؟

ومدت "آمي" يدها إلى سيدتها بما سألتها عنه. وبعد أن ألقت السيدة "ماتيلدا" نظرة على القائمة قالت:

– يا لها من قائمة مقيتة. وما مذاق تلك المياه؟

– ليس بالجيد.

– هذا ما كنت أتوقعه. عودي بعد نصف ساعة؛ إذ إن لديّ رسالة أريد أن أبعث بها.

ونهضت السيدة إلى المكتب الصغير. وبعد أن أطرقت تستعرض ما هي بسبيل تحريره، أمسكت بالقلم تدون ما استقر عزمها عليه. وتمتمت قائلة:

– لعله ينتج أثره.

فقالت "آمي":

– معذرة، يا سيدة "ماتيلدا"، ماذا قلت؟

– كنت أكتب لصديقتي القديمة التي تحدثت إليك عنها.

– صديقتك التي مضى على آخر لقاء بينكما حوالي الستين عامًا؟

فأومأت السيدة "ماتيلدا" برأسها إيجابًا. واستطردت "آمي" معتذرة:

– إنها لفترة طويلة. ولم تعد ذاكرة الناس لتعي ما طال عليه الأمد. أرجو ألا تكوني قد نسيت ما كان بينكما.

– إنها لن تنسى بكل تأكيد. إن ذكريات الصبا لا تنسى، بل إنها تنطبع في الذاكرة، أنا واثقة بأنها ستتذكر كل شيء عني، وعن "لوزان". ابعثي بهذا الخطاب عن طريق البريد.

وعادت إلى فراشها بعد أن التقطت نسخة من تقويم "جوتا"، السجل الرسمي

لأسماء وتواريخ الأسر الأرستقراطية العريقة في "أوربا"، وراحت تراجع بعض فقراته التي تتضمن معلومات عن مختلف الأسر وما حل بها. ولم تكن تتوقع أن تجد شيئًا بالذات عن الشخصية التي تجول في خاطرها. ولكنها قرأت عن سيدة أقامت في أنحاء من العالم، ثم قدمت لتقيم في حصن كان ملكًا لأسلافها النبلاء، وحظيت باحترام الدوائر المحيطة بها. لا لكرم محتدها وإنما لثروتها الطائلة.

*****

بعد مسيرة خمسة وسبعين كيلومترا، توقفت بها السيارة أمام الحصن الذي اقتيدت إليه وتوجهت إلى إحدى قاعات الاستقبال الفسيحة. وكانت السيدة "**ماتيلدا كليكهيتون**" قد تأنقت في ارتداء ثيابها، ضاربة عرض الحائط بملاحظات "**آمي**". وقد راعت في ثوبها أن يكون أرستقراطي الطابع، وإن لم يدل على ثراء ملموس.

ولم تفاجأ "**ماتيلدا**" بما وقعت عليه عيناها. لقد حدثها "**ستافورد**" بالكثير عما رآه، وعن هذه المرأة التي في ضخامة الحوت وقد جلست في مقعدها بتلك الغرفة المزدانة بلوحات تساوي ثروة طائلة.

ونهضت المضيفة من مقعدها الشبيه بالعرش، تستقبل الضيفة قائلة:

– "**ماتيلدا**"!

– "**شارلوت**"!

– بعد كل هذه الأعوام. يا للعجب!

وتبادلتا عبارات الترحيب والسرور باللقاء. وعادت السيدة "**ماتيلدا**" بذاكرتها إلى الماضي لتستعيد منه أن "**شارلوت**" كانت فتاة بغيضة. وأنها لم تعرف قط ما إذا كانت "**شارلوت**" قد أحبتها أم لا.



واستعادتا معًا ذكريات الماضي البعيد، وما كانتا تفعلانه مع زميلات الدراسة، وما تم من زيجات البعض منهن.

وحمل الخدم أقداح القهوة وصحاف الفطائر والكعك. وانبرت السيدة "ماتيلدا" تقول:

– لا أستطيع تناول شيء من هذه. إن أوامر طبيبي قاطعة.

ولقد أشار عليَّ بالتزام قواعد الاستشفاء. غير أنه يمكن اعتبار يومنا هذا يوم عيد، أليس كذلك؟ عيد تجديد الشباب. ولقد علمت من ابن أخي الأصغر الذي قام بزيارتك منذ فترة غير بعيدة. ولقد نسيت اسم من جاءت به إلى هنا، إن اسمها يبدأ بحرف الـ"ز".

– الكونتسّة "ريناتا زركوفسكي".

– نعم، هذا هو اسمها. إنها سيدة ساحرة. وقد جاءت به لزيارتك. لقد سر كثيرًا بهذه الزيارة وكان لكل ما شاهده أثر عميق في نفسه. وكان في مقدمة هذا كله، ذاك الجمع من الشباب الذهبي الجميل، إنهم يعشقونك. يا لها من حياة!

– إنني أذكر ابن أخيك هذا. إنه من السلك الدبلوماسي.

– أجل. وقد كان حظه عاثرًا. إنهم لا يقدرونه حق قدره. إن الحياة قد تغيرت، ولم تعد الأمور تجري كما كانت تجري من قبل. إنه ليس موضع ثقتهم.

– تعنين أنه ليس على وفاق معهم – مع أولي الأمر؟

– إن لـ"ستافورد" آراءه الخاصة ونظرياته في الحياة. وهو غير راض عن أساليب من بيدهم مقاليد الأمور. وقد بدا لي أنه تأثر إلى حد كبير بما حدثته به أو أطلعته عليه.. إنه جد معجب بمبادئك وبما تهدفين إليه من إصلاح.

– يجب أن يكون هناك جنس سام. ولقد كان "أدولف هتلر" على حق. وليس من شك في أنه كان زعيمًا موهوبًا.

– إننا بحاجة إلى زعامة قوية بشرط ألا تتورط في الأخطاء.

– إن آمالنا معقودة على الشباب. فالشباب هم القوة، والشباب هم القلوب الجريئة القوية، والشباب هم الآراء الجديدة الدافعة لعجلة الحياة. والشباب إلى جانب هذا كله، هم المستقبل. إننا نعد العدة لمثل هذا المستقبل ونعمل على تزويد الشباب بكل الإمكانات. وفي عالم مثل هذا ستتاح الفرصة لمن هم على شاكلة ابن أخيك. إن شعارنا هو "**النصر للشباب**".

ولم يكن في وسع السيدة "**ماتيلدا**" سوى أن تصغي وتومئ برأسها مجاراة لصديقتها فيما تقول:

وقالت لها "آمي" وهما في طريقهما إلى جناحهما بالمصحة:

– أرجو أن تكوني قد استمتعت بهذا اللقاء.

فعقبت السيدة "**ماتيلدا كليكهيتون**" بقولها:

– لو قدر لك أن تستمعي لما استمعت إليه من هراء في إصغاء تام وموافقة ومجاراة لصديقتي، لتملكك العجب، ولما صدقت أذنيك.

## - 16 -

قال الكولونيل "**بايكواي**" وهو يزيل رماد سيجاره عن معطفه:

– إن الأنباء الواردة من "**فرنسا**" في غاية السوء. وهذا ما قاله "**تشرشل**" صراحة في الحرب الماضية. ولقد كان لصراحة الرجل وشجاعته تأثيرها العميق. وعلى غرار هذه المكاشفة، أعيد ترديد هذا القول الآن. إن الأنباء الواردة من "**فرنسا**" بالغة السوء.

وبعد أن سعل، وأزال ما استجد من رماد سيجاره المتساقط فوق معطفه، استطرد قائلاً:

– وأنباء "**إيطاليا**" سيئة جدًا، هي الأخرى. ولا أستبعد أن تكون أنباء "**روسيا**" كذلك، لو تيسر لنا أن نعرف عنها شيئًا. إن الطلبة لا يقلون نشاطًا فيها

عن غيرها. وأنباء "الأردن"، و"القدس" و"سوريا"، و"الأرجنتين"، سيئة غير مطمئنة. وفي البلاد الأخرى، وفي غيرها من بلاد "أمريكا الجنوبية" جماعة تطلق على نفسها "اتحاد الشباب الذهبي"، أو شيئًا من هذا القبيل. ولهذه الجماعة جيش أيضًا. حيث مسلح تسليحًا تامًا، وله قيادته. وتتوسل هذه الجماعة بالأغنيات الشبابية والأناشيد الموجهة لاجتذاب الشباب.

وبعد فترة توقف وجيزة واصل حديثه قائلاً:

– ولقد سمعت بأن لهذه الجماعة خط نشاط معين في الدول المتحضرة، يبدأ من هنا. والمظاهرات التي تنتشر في البلاد من حين لآخر، خير دليل على ذلك.

وتوقف ثانية، ليتطلع إلى الرجل الجالس أمامه مستطرداً:

– إنه لأمر مؤسف أن تبلغ الأنباء هذا الحد من السوء. إن الفوضى يستشري أمرها في العالم قاطبة، ونحن في طريقنا إلى ذروتها.

– الا يمكن اتخاذ إجراء إزاء هذه الظاهرة الخطيرة؟

– ليس بهذه السهولة التي قد تبدو لك. إن القنابل المسيلة للدموع تضع حداً مؤقتًا لمثل هذه الاضطرابات. أما عدا ذلك من أسلحة فتاكة فلا يمكن الإقدام على استعمالها. ومهما يكن من أمر، ، فإنه يلوح لي أن لديك أنباء جديدة عن "ألمانيا" من العم "شبايس" شخصيًّا. أليس كذلك؟

– وكيف عرفت؟ من المفروض أن..

– إننا نحاط علمًا بكل شيء هنا فهذا عملنا. ولقد أحضر "شبايس" معه طبيبًا، كما علمت.

– أجل، الدكتور "ريخارد"، قمة بين العلماء. إنه طبيب نفسي. ولسوف يعهد إليه بفحص حالات معينة.

فعقب السيد "جورج باكهام" قائلاً:

– يجب أن نضع في حسابنا مناحي الفكر الحديث، أعني أنني أرجو.. الحق

أنني أجد صعوبة في التعبير.

فقال له الكولونيل **"بايكواي"** :

– من المزعج حقًّا، أن يجد المرء صعوبة في التعبير عما يدور بخلده.

وسمع رنين جرس التليفون. فتناول الكولونيل السماعة. وأصغى ثم مد يده بالسماعة إلى السيد **"جورج"** الذي تحدث قائلاً:

– نعم؟ أجل؟ أجل. موافق. كلا – كلا – وزارة الداخلية – لا. تعني بصفة خاصة. حسن أعتقد أنه من الخير أن...

وتلفت السيد **"جورج"** فيما حوله حذرا. فقال له الكولونيل **"بايكواي"** :

– إنك في أمان هنا.

– فاستطرد السيد **"جورج"** في صوت هامس قائلاً:

– فلتكن كلمة السر **"الدانوب الأزرق"** . نعم، نعم سأصطحب **"بايكواي"** معي. لا تنس أن اجتماعنا سري وله صفة خاصة.

وانبرى **"بايكواي"** يقول:

إذن فمن الأفضل ألا نستقل سيارتي؛ لأنها معروفة للجميع.

– إن **"هنري هورشام"** قادم بسيارته الـ**"فولكس"** .

– عظيم. عظيم جداً.

# - 17 -

كان **"هنريك شبايس"** بادي القلق. ولم يحاول أن يخفي هذه الحقيقة عن الرجال الخمسة الذين اجتمعوا لمناقشة الموقف الخطير. غير أنه في الوقت نفسه كان يحمل في جعبته ما يعيد الثقة إلى القلوب، تطبيقًا لأسلوبه في معالجة الحياة السياسية الشاقة في **"ألمانيا"** . وكان رجلاً شديد المراس، متزن التفكير، يوحي بالثقة إلى كل من يتصل به. ومع ذلك فقد كان يحرص على ألاَّ يوحي لمن يتصل

به بانه رجل متوقد الذكاء. وهذه الخلة بالذات تضاعف من الثقة به... إن معظم رجال السياسة في العالم، مسؤولون عما تتعرض له الدول من أزمات، على الرغم مما يتحدث به الناس عن ذكائهم وصفاتهم الذهنية الممتازة.

وبدأ المستشار الألماني حديثه قائلاً:

– إن زيارتي ليس لها طابع رسمي بصورة أو باخرى، الأمر الذي يعد متفقًا عليه بيننا.

– هذا أمر مفهوم.

– لقد تجمع لديّ من المعلومات ما رأيت من الضروري أن أشرككم معي في الإحاطة به. وهي معلومات تلقي ضوءاً على بعض الأحداث التي سببت لنا الحيرة والأسى معا. اسمحوا لي أولاً بان أقدم إليكم الدكتور "**ريخارد**".

وتم التعارف بين الحاضرين، الذين رأوا في الدكتور "**ريخارد**" رجلاً ترتاح العين لمرآه.

واستطرد السيد "**شبايس**" قائلاً:

– إن الدكتور "**ريخارد**" يتولى معالجة الحالات العقلية في مؤسسة كبيرة على مقربة من "**كارلزوره**" ويبلغ عدد مرضاه ما بين خمسمائة وستمائة، أليس كذلك؟

فأجاب الدكتور "**ريخارد**":

– هو ذلك.

– ومن المفروض أن هذه الحالات مختلفة متباينة؟

– أجل، لدي أكثر من نوع من هذه الأمراض، وإن كنت أهتم اهتمامًا خاصًا بنوع معين منها.

ثم راح يواصل حديثه بالألمانية. وبعد أن فرغ من إيضاحه، عقب السيد "**شبايس**" على حديثه قائلاً:

– يقول الدكتور "**ريخارد**" إن هذا المرض العقلي اللعين يمكن تسميته "**بجنون**

**العظمـة**" . إذ يعتقد المرء تحت تأثيره أنه شخص آخر. شخص أكثر أهمية من حقيقته. شخص يتوهم أنه مضطهد.

فانبرى الدكتور "**ريخارد**" معترضًا:

– كلا! ليس بهذا المعنى على وجه التحديد. يمكن القول إنه شخص يعتقد أنه مغبون. وأنه أعلى قدراً مما هو في الواقع. وأنه كان يجب أن يكون...

– سادتي، لعلكم فهمتم من تعقيبي ومن إيضاح الدكتور "**ريخارد**" حقيقة هذا المرض. دكتور "**ريخارد**".. كم يبلغ عدد المرضى في عيادتك؟

– لقد بلغوا الثمانمائة، في الفترة التي أتحدث عنها. ثمانمائة.. وكل منهم يرى في نفسه أنه إله عظيم!

فانبرى "**لازنباي**" معقبًا:

– إنه لحديث مثير..

– ومنهم من يعتقد أنه نبي. أو أنه "**أدولف هتلر**" . ويبلغ عدد هؤلاء خمسة وعشرين بينهم خمسة عشر يعتقد كل منهم أنه "**نابليون**" . إلى آخر قائمة الشخصيات التاريخية مثل "**موسوليني**"، و"**يوليوس قيصر**"، وغيرهما. وهي حالات لا تبلغ من الأهمية مثل هذه الحالة التي سأعرضها عليكم.

وواصل السيد "**شبايس**" الترجمة واستمر الدكتور "**ريخارد**" في حديثه قائلاً:

– وحدث أن جاء لزيارته، في يوم ما، أحد موظفي الحكومة، وكان من الشخصيات التي يشار إليها بالبنان حينذاك – كان هذا إبان الحرب، لا تنسوا ذلك ولنطلق عليه مؤقتًا اسم "**مارتن ب**" وسوف تدركون من عساه أن يكون. وقد اصطحب الموظف معه رئيسه، الذي هو في الواقع "**أدولف هتلر**" شخصيًا..

وبعد أن أطرق الطبيب قليلاً استطرد قائلاً:

وكانت زيارته شرفًا كبيرًا لنا. وقد أثنى عليّ وعلى جهودي. وقال لي إن ثمة بعض المتاعب في الجيش، وإنه يوجد من بين أفراده من يرى في نفسه أنه

"**نابليون**"، وآخرون يعتقدون أنهم من مارشالاته فيصدرون الأوامر العسكرية ويسببون الكثير من المتاعب. وكان يسعدني أن أزوده بما يشاء من معلومات قد يستفيد منها، غير ان "**مارتن ب**" الذي كان يرافقه قال إن هذا ليس ضروريًا. وقال "**هتلر**" إنه من الأفضل إيفاد أطباء إخصائيين في أعصاب المخ لفحص هذه الحالات.

وأبدى رغبته في القيام بجولة في المصحة، وبدا لي أنه كان مهتمًا بما يشاهد، وانه كان يجد فيما يرى ما عرفه عنه. وكان يستفسر مني عن بعض الأمور. وأخبره "**مارتن ب**" بأن بين المرضى من يرى في نفسه انه "**أدولف هتلر**" ولما زدته إيضاحًا عن دوافع هذه الحالات المرضية، رأيته راضيًا عن تشخيصي الطبي. وابدى "**الفوهرر**" رغبته في الاجتماع ببعضهم. وقال "**مارتن ب**" إن "**الفوهرر**" يريد الاجتماع بهم في غير حضوري. فغادرت الغرفة وبعد سبع دقائق من الاجتماع بمن دعوناهم من هؤلاء المرضى، أسرع "**الفوهرر**" ورفيقه بالانصراف.

وبعد فترة صمت، خيم فيها السكون على القاعة، انبرى الكولونيل "**بايكواي**" متسائلاً:

– وهل حدث بعد ذلك ما هو جدير بالذكر؟

– حدث أن كان سلوك أحد المرضى بعظمة "**هتلر**" غير عادي. وكان بين هذا الرجل وبين "**أدولف هتلر**" شبه غريب، مما ضاعف من النزعة المرضية المتسلطة عليه. ولاحظت انه أصبح أكثر تمسكا بانه "**الفوهرر**" لحمًا ودمًا، وانه يجب ان يتوجه فوراً إلى "**برلين**" ليرأس مجلسًا لأركان الحرب وكبار القادة. كما لاحظت بعض التغيير في شخصية المريض عن ذي قبل، وطبت خاطراً حينما اقبلت أسرته بعد يومين للعودة به إلى منزله حيث قرروا أن يتولوا علاجه هناك. وقد وافقت على طلبهم؛ إذ كان في صحبتهم طبيب أخذ على عاتقه الإشراف على علاجه.

– يبدو أن للسيد "**شبايس**" وجهة نظر..

فاسرع السيد "شبايس" موضحًا:

– ليست بوجهة نظر، إنها حقيقة واقعة. ولقد عمد الروس، كما عمدنا إلى إخفائها. وثمة أكثر من دليل على قيامها. وهذه الحقيقة هي أن "الفوهرر" "هتلر"، قد تخلف في المصحة بمحض إرادته في ذلك اليوم وأن الرجل الذي يشبه "هتلر" الحقيقي غادرها برفقة "مارتن ب"وجثة هذا المريض هي التي عثر عليها فيما بعد في المخبأ. ولست أجد داعيًا للدخول فيما عدا هذا من تفصيلات.

فقال "لازنباي":

– يجب أن نعرف الحقيقة.

– أما "الفوهرر" الحقيقي فقد تم تهريبه إلى "الأرجنتين" حيث أقام لبضعة أعوام. وكان له ولد هناك من فتاة آرية جميلة من أسرة عريقة والبعض يزعم أنها إنجليزية. وهناك ساءت حالة "هتلر" العقلية، إلى أن قضى نحبه مجنونًا، معتقداً أنه يقود جيوشه في الميدان. وكانت تلك هي الخطة الوحيدة التي يسرت له سبيل الهرب من "ألمانيا"، والتي تمت بموافقته.

– ومع ذلك، فلم يتسرب شيء ينم عما حدث؟

– كانت هنالك إشاعات – ليست سوى إشاعات كما هي العادة.

إشاعات كتلك التي ترددت حول إحدى كريمات "قيصر" "روسيا" من القتل.

فانبرى "جورج باكهام" قائلاً:

– ولكن هذا لم يكن سوى ادعاء باطل.

– في اعتقاد البعض فقط. ولكن آخرين كانوا يؤمنون بصحته. فأي الجانبين كان على حق؟ إنها الإشاعات؟ ولقد سمعنا الكثير عن أن "هتلر" لا يزال حيًّا يرزق. وعلى الرغم مما قيل عن أن الجثة التي وجدت بالمخبأ كانت لـ"هتلر"، فإنه لم يقم دليل على صدق هذا القول.

– هل نفهم من هذا يا دكتور "ريخارد" أنك تؤيد هذه القصة؟

– لقد حدثتكم بما حدث. كان "**مارتن ب**" هو من قدم لزيارة مصحتي، وكان "**مارتن ب**" من أقبل وفي صحبته "**الفوهرر**"، وكان "**مارتن ب**" من عامله على أنه الزعيم، ومن كان يتحدث إليه بما يجب من احترام وتوقير. أما أنا، فقد قدر لي أن أعاشر مئات من "**هتلر**"، و"**نابليون**"، و"**يوليوس قيصر**". وجدير بالذكر أنه لم يسبق لي أن التقيت بـ"**هتلر**" أو حظيت بالاجتماع به شخصيًا. ثم كانت هذه الزيارة التي أبدى فيها "**هتلر**" رغبته في الاجتماع على انفراد ببعض من حلا لهم أن يتقمصوا شخصيته. وقد حققت له رغبته، أو صدعت بما أمرني به. وجدير بالذكر أيضًا أن الكثرة ممن كان يخيل إليهم أنهم "**أدولف هتلر**"، كانوا يصرون على محاكاته في كل شيء، بما في ذلك ثيابه. كما أنه كان هنالك هذا الرجل المريض الذي يشبهه إلى حد بعيد. وما أظن أن بي حاجة لإعادة سرد ما حدث في ذلك اليوم. وغني عن البيان أن البديل ما كان له سوى أن يرحب بهذه الفرصة التي واتته ليحتل مكان "**هتلر**" الحقيقي، بناء على هذه العقيدة المتأصلة في نفسه هذا هو ما حدث وهذا هو تصوري الحقيقي له.

فقال وزير الداخلية معقبًا:

– إنها لقصة غريبة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة!

فأردف السيد "**شبايس**" قائلاً:

– إن الغرائب كثيرة ما تحدث في الحياة وفي التاريخ.

– ألم يساور الشك أحدًا فيما حدث؟

– لقد كان التخطيط محكمًا، مما لم يدع مجالاً لريبة أو شك. كما أن من قاموا على وضع الخطة قد حرصوا على كتمانها بحيث ضمنوها القضاء على بعض من اشتركوا في تنفيذها خشية تسرب شيء منها. إن الموت هو أيسر سبيل لإطباق شفتي من يحتفظ بسر خطير. ولم يكن القائمون على مثل هذه الأمور في "**ألمانيا**" ليتحرجوا عن شيء من هذا القبيل، وكانت لهم خبرة بتدبير

أمر العواقب. وعلى الرغم من هذا الحرص، فقد ثبت لدينا من بعض الوثائق والأدلة أن الخطة قد نفذت على الوجه الذي سبق إيضاحه، وأن "**هتلر**" قد وصل إلى "**أمريكا الجنوبية**" حيث عقد زواجه وأنجب مولوداً ثم وشمه في قدمه بالصليب المعقوف. ولقد التقيت بعملاء لنا من الموثوق بهم شاهدوا هذا الوشم بقدم الطفل المذكور. وهنالك نشأ هذا الطفل وأعد للمستقبل، ومن هنا نبتت فكرة الشباب الجديد. إنها فكرة أعم وأشمل. فكرة تضم شباب مختلف الدول، تستهدف القضاء على كل قديم، مستهينة بكل المقدسات، بما في ذلك الحياة الإنسانية، في سبيل بلوغ غايتها. ولهذا الشباب، أو لتلك الجماعة، زعيمهم الذي تجري في عروقه دماء أبيه، وإن لم يشبهه؛ لأنه أقرب شبهاً بأمه. إنه صبي ذهبي الشعر مقبول الشكل. وهو من يطلقون عليه اسم "**سيجفريد الشاب**"، وقد حرصوا على تنشئته بحيث يمكن أن يصبح زعيماً لهم، يقودهم إلى أرضهم الموعودة.

وكان تعقيب السيد "**لازنباي**":

– هراء. هراء.. يجب أن يُقضى عليه قبل أن يستفحل أمره.

فأردف السيد "**شبايس**" قائلاً:

– إنهم لا يكادون أن يدركوا من أمرهم شيئاً. إنهم لا يعرفون إلى أين هم مسوقون، إنهم مندفعون وقد أعماهم إيمانهم عن مصيرهم. إنهم شباب يتفجر حماساً، لا يكاد يتبين موضع أقدامه. لقد لقنوا مبادئ "**هتلر**" وأشربوا قسوته، مستهينين بكل شيء في سبيل المضي قدماً تحت لواء "**سيجفريد الشاب**". هذا ما عرفناه عنهم في بلادنا. فماذا عنكم أنتم..؟

– لا يعلم منا بهذا سوى أربعة أو خمسة، على الأرجح.

– إنهم يعلمون بهذه الظاهرة في "**روسيا**"، وكذلك في "**أمريكا**". فهم يعرفون أن ثمة أتباعاً للبطل الشاب، "**سيجفريد**"، الذي يمثل "**الفايكنجز**" آلهة

الشمال وأبطال الأساطير الإسكندنافية. غير اننا يجب الا نغفل أمر هؤلاء الذين يدفعون بهذه العجلة إلى الأمام، من الرجال ذوي العقول الجبارة، ومن كبار الماليين، ورجال الصناعة، وغيرهم من العلماء. وهؤلاء جميعًا يشتركون في السيطرة على تلك الجماعة، وعلى مصادر القوة فيها. ويقال إن سطوتهم بلغت حدًّا جعل من هؤلاء الشباب عبيداً لهم. ولقد كانت وسيلتهم في ذلك، المخدرات التي تجعل من يتعاطاها عبداً خاضعًا لها.

إن المخدرات لا تدانيها رذيلة في عواقبها السيئة على المرء؛ لأنها تنتهي به إلى إهدار آدميته.

فعقب وزير الداخلية بقوله:

– وهل سنقف من هذه الظاهرة الخطيرة مكتوفي الأيدي؟ أليس أولى بنا أن نتخذ من الإجراءات الصارمة ما يضع حدًّا لها..

– فقاطعه رئيس الوزراء قائلاً:

– ما زلت أعتقد أن الوسيلة لمعالجة هذه الظاهرة هي في تعاوننا مع الروس لوضع أسس مقاومتها ودفع شرها، خاصة وأنهم يحيطون علماً بهذه الحقائق.

فقال "شبايس":

– أجل، إنهم يحيطون علمًا بما فيه الكفاية، ولكن، هل تراهم سيعترفون بذلك؟ إن سياستهم دائمًا، يكتنفها الغموض، علاوة على متاعبهم مع "الصين". ثم إنهم قد لا يتوقعون من هذه الحركة ما نتوقعه نحن من شر مستطير.

فقال "لازنباي":

– أظن أن الخطة المثلى هي أن أطير بنفسي إلى "روسيا".

وفي صوت هادئ، تحدث أمير "إلتامونت" قائلاً:

– "سيدريك"، إننا بحاجة ماسة إليك هنا. إنك رئيس حكومتنا. ولدينا من الموثوق بهم كثيرون يمكن إيفادهم في مثل هذه المهمة.

وانبرى السيد "**جورج باكهام**" متسائلاً:

– ومن تراه يصلح لمثل هذه المهام؟ لعل "**هورشام**" خير من يحدثنا في هذا الشأن؟

فأجاب "**هنري هورشام**" في هدوء:

– لدينا نخبة ممتازة من العملاء تأتيك بما لم يكن يطرأ لك على بال من معلومات، وإن ما أدلى به السيد "**شبايس**"، من معلومات، لم يحصل عليه إلاّ عن طريق عملاء له. إن تسعة أعشار ما يحمله إلينا العملاء من تقارير صحيح.

فقال "**لازنباي**" في لهجة قاطعة:

– دعونا من هذا الحديث عن المعلومات وعن جديتها من عدمها ولننتقل إلى الحديث عن كيفية مواجهة هذه الأزمة العالمية. ويجب أن نتخذ القرارات في اجتماعات القمة لإيجاد مخرج منها.

– سيدي، يجب أن نضع نصب أعيننا أن هذه الحركة ليست كحركات الطلبة العادية، إن جيش الشباب يقف من ورائه جيش من العلماء، والبيولوچيين، والكيميائيين، علاوة على من يمدونه بالسلاح، والمال، والمخدرات التي تفقد أفراده الإرادة. إن وراء الأكمة ما وراءها.

وتلفت "**سيدريك لازنباي**" يمينًا ويسارًا إلى ممثلي القوات البرية والبحرية والجوية وقال:

– لقد بلغ الموقف حد الهاوية. "**شيتوبند**" – "**مونرو**" – "**بلانت**"؟

ولفرط دهشة "**لازنباي**"، كان الأمير "**بلانت**" هو الوحيد الذي استجاب له وقال:

– لست أدري ما وضع الأمراء من ذلك؟ وخير ما أشير به هو استعراض الموقف بدقة تامة.. ومراجعة المعلومات جيداً قبل اتخاذ أي قرار.

*****

# - 18 -

انفض الاجتماع على ذلك، واستقر رأي المجتمعين على إعادة النظر، بصفة حاسمة فيما يتخذ من إجراءات.

واتجه كل من المستشار الألماني ورئيس الوزراء. وسيد "**جورج باكهام**"، و"**جوردون شيتويند**" والدكتور "**ريخارد**" إلى "**داونتج ستريت**" لتناول طعام الغداء.

أما الأمير "**بلانت**"، والكولونيل "**مونرو**"، والكولونيل "**بايكواي**"، و"**هنري هورشام**" فقد تخلفوا ليواصلوا مناقشاتهم بحرية أكثر في غياب الأولين.

وانبرى الكولونيل "**بايكواي**" قائلاً:

– حمداً لله على أن اصطحبوا معهم "**جورج باكهام**".. إنه يثير أعصابي.

وأردف الكولونيل "**مونرو**" قائلاً:

– سيدي "الأمير"، كان ينبغي أن تذهب معهم. فلست أرى أن "**جوردون شيتويند**" أو "**جورج باكهام**" بالقادرين على الحيلولة دون سفر "**سيدريك**" إلى "**روسيا**"، أو إلى "**الصين**"، أو إلى "**إثيوبيا**"، أو إلى "**الأرجنتين**" أو إلى أي مكان آخر يحلو له.

وتطلع الأمير إلى الكولونيل "**بايكواي**" في فضول متسائلاً:

– ما الانطباع الذي خلفته قصة "**هتلر**" في نفسك؟ أتراك فوجئت بها؟

– لم تكن هذه القصة هي الأولى التي سمعنا بها في غمرة الإشاعات. وهي قد تكون صحيحة وقد لا تكون. في مثل هذه الأحوال، تكثر مثل هذه الإشاعات وتنتشر.

– إن الجثة التي عثر عليها الروس في المخبأ لم يتعرفها أحد بصفة قاطعة.

ونهض "الأمير" مستأذناً في الانصراف. وقال "**مونرو**":

– أعتقد أن الدكتور "**ريخارد**" يعرف الحقيقة – وإن كان قد حرص على عدم

الجزم بذلك أمامنا.

واستدار "الأمير" وهو ممسك بقبضة الباب قائلاً:

– وماذا عن الأعجوبة ذي الشعر الذهبي؟ ابن "هتلر"؟

فقال الكولونيل "بايكواي" معقبًا:

– لا عليك منه.

فعاد "الأمير" أدراجه ليستانف مجلسه بينهم، وليستمع إلى "بايكواي" الذي استطرد قائلاً:

– أراهن على أن "هتلر" لم يكن له ولد في يوم ما.

– إنك لا يمكن أن تجزم بذلك.

– بل إنني جد واثق بما أقول. إن هذا الـ"فرانز جوزيف" أو "سيجفريد الشاب"، الزعيم المؤله ليس بأكثر من أكذوبة وخدعة.. إنه ابن نجار أرجنتيني وفتاة جميلة شقراء، كانت مغنية أوبرا ألمانية من الدرجة الثالثة – وقد ورث الابن طلعته الجميلة من والدته. ولقد أحسن اختياره للدور الذي يؤديه. وكان هذا الشاب في مطلع صباه ممثلاً محترفا – وحرصوا على وشم قدمه بالصليب المعقوف انتقامًا لقريتهم.

– وهل لديك دليل على ما تقول؟

فابتسم الكولونيل "بايكواي" مجيبًا:

– دليل قاطع حصل عليه واحد من خيرة عملائي. إنها وثيقة تتضمن إقراراً حاسمًا، وصوراً فوتوغرافية لبيانات موقعًا عليها من الأم، ومن الطبيب عن تاريخ عملية الوشم، وصورة طبق الأصل من شهادة ميلاد "كارل أجيليروس" – ودليلا موقعًا عليه على أنه هو المدعو "فرانز جوزيف". هذا ما استطاع عميلي أن يحصل عليه.

– وأين توجد هذه الوثائق الآن؟

– في مكان آمن. في انتظار استعمالها في اللحظة المناسبة.

– وهل تعرف الحكومة هذا؟ أو هل يعرفه رئيس الوزراء على الأقل؟

– لقد دابت في عملي على عدم إحاطة السياسيين علمًا بكل ما لديّ من معلومات قبل أن أتأكد من أنهم سيتخذون الخطوات الصحيحة.

فقال "مونرو":

– إنك لشيطان عجوز يا "بايكواي".

فقال "بايكواي" في أسى:

– هذا ما لابد منه أحيانًا.

## - 19 -

كان لدى السيد "ستافورد ناي" بعض الضيوف يقوم على إكرام وفادتهم. ولم يكن قد سبق له معرفتهم، وكان مرآهم في الجملة، يسر الناظرين.

راح يتساءل، ماذا يريد ضيوفه منه، وكان يعرف أن أحدهم ابن لأحد ملوك البترول، والثاني ممن انصرفوا إلى العمل السياسي بعد تخرجه في الجامعة، والثالث شاب غريب الأطوار، يبدو الشك في عينيه وفي حركاته.

وبادره الشاب الأشقر الذي يبدو أنه زعيم الثلاثة قائلاً:

– إننا نشكر لك موافقتك على استقبالنا يا سيد "ستافورد".

وكان لنبرات صوته وقع جميل على السمع. وكان اسمه "كليفورد بنيت". وقد قام بتقديم زميليه قائلاً:

– هذا هو "رود ريك كيتلي" وهذا "جيم بروستول". إننا جميعًا قلقون من أجل المستقبل. ترى، هل أحسنت التعبير؟

كانوا جميعًا من الشباب وعلى جانب كبير من الوسامة والذكاء فقال السيد "ستافورد ناي":

– أعتقد أن أحسن تعقيب على ذلك هو، أن هذا شأننا جميعًا.

وعقب "**كليفورد بنيت**" بقوله:

– إننا غير راضين عن مجريات الأمور. التمرد، والفوضى، وكل ما هو من هذا القبيل.. إن هذه الأمور لا باس بها كنظريات فلسفية. وبصراحة، فإنني أرى أنه يمكن القول إنه يبدو وكأننا نمضي في طور لنجتازه إلى آخر لا يفترق عنه كثيراً. إننا نريد للشباب المقدرة على متابعة حياتهم الأكاديمية دون توقف. إننا نريد مظاهرات سلمية تكون بعيدة عن التهريج والعنف. مظاهرات واعية مدركة. وفي الحق إن ما نريده بصراحة هو حزب سياسي جديد. و"**جيم بروستر**" هذا كان له دور في ابتكار نظريات وخطط جديدة تتصل بشئون نقابات العمال. ولكنهم حاولوا أن يخذلوه ويسفهوا آراءه، وإن لم يفت هذا في عضده، أليس كذلك، يا "**جيم**"؟

فأجاب "**جيم بروستر**":

– إن معظمهم بالغ الحمق، ضيق الأفق.

– إننا نريد سياسة جادة رشيدة للشباب، وأسلوبًا للحكم أكثر اقتصاداً. إننا نريد تغييراً شاملاً في كل نظم الحكم. وخلاصة القول، إننا نريد الوسيلة التي نصل بها إلى مقاعد الحكم لنضع كل هذه الأماني والآمال موضع التنفيذ. إن معنا الكثيرين ممن انضموا لحركتنا، ونحن نمثل الشباب بالقوة نفسها التي يعمل بها دعاة العنف. إننا نمثل الآراء المعتدلة والحركة السلمية. والعمل الرصين. وقد جئنا نعرض عليك أهدافنا. لعلها تحظى بعنايتك. ولقد وقع اختيارنا عليك؛ لأننا سمعنا عنك ما شجعنا على ذلك.

فعقب السيد "**ستافورد**" بقوله:

– ألا ترى أن فيما تقوله وتعرضه عليّ ما يجافي الصواب؟ إن ما تعرضه عليّ ضرب من عدم الولاء.

– إننا لا نعرض عليك الانضمام إلى بلد آخر.

– كلا، كلا، ليس هذا ما أعنيه على وجه التحديد. ولكنني أعتقد أن لهذه الدعوة صلة ببعض الاهتمامات الأجنبية، إنني عائد للتو من الخارج. وكانت رحلة مشوقة. ولقد قضيت الأسابيع الثلاثة الأخيرة في "أمريكا الجنوبية". وثمة ما أحب أن أحيطكم به علمًا. لقد شعرت منذ عودتي إلى "إنجلترا" بأن ثمة من يتعقبني.

– ثمة من يتعقبك؟ لعله قد خيل إليك هذا؟

– كلا. أنا واثق بذلك. ومن هنا، كنت أفضل أن يكون لقاؤنا في مكان آخر غير منزلي. إن الإنسان يجب أن يكون أكثر حذرا في أيامنا هذه. لقد تعلمت كثيرًا في حياتي العملية وشهدت الكثير. ولنعد إلى ما كنا فيه من حديث. إن "أمريكا الجنوبية" منطقة من العالم لها أهميتها القصوى.

ونهض "ستافورد ناي" يفتح أحد الأدراج ويخرج منه جهاز تسجيل، قائلاً:

– إنني حديث عهد بعملية التسجيل.

وبدأ يسمع الحاضرين لحنًا. وتبين أن البعض منهم يصغي في انتباه. فابتسم قائلاً:

– أرى أنكم تشاركونني الاستمتاع بموسيقى "فاجنر". لقد عزف هذا اللحن في مهرجان الشباب هذا العام حيث استمتعت بموسيقاه.

– إنه لحن من أوبرا.

– إنه نداء النفير لبطل شاب.

وأردف "ستافورد ناي" وهو يرفع ذراعه ويمد يده إلى الأمام بالتحية الهتلرية المشهورة:

– "سيجفريد" الجديد.

ونهض الضيوف الثلاثة وقوفًا. وقال "**كليفورد بنيت**":

– إنك لعلى صواب. يجب علينا جميعًا أن نتوخى جانب الحذر.

ثم صافحه واستطرد قائلاً:

– يسرنا أن تنضم إلينا. إن ما سوف تحتاج إليه هذه البلاد مستقبلاً، هو وزير خارجية من الدرجة الأولى.

وغادروا الغرفة منصرفين، ووقف السيد "**ستافورد ناي**" يودعهم بنظراته من فرجة الباب إلى أن استقلوا المصعد. ثم ابتسم وهو يوصد الباب. وعاد يسترخي في أحد المقاعد – في الانتظار – بعد أن ألقى نظرة على ساعة الحائط.

وعادت به الذاكرة إلى مثل هذا اليوم، منذ أسبوع مضى، حينما افترق هو و"**ماري آن**" في مطار "**كنيدي**" بـ"**أمريكا**" ومضيا كل في طريق. وكانا قد وقفا هناك وقد أرتج عليهما القول، وكان هو أول من قطع حبل الصمت. قال:

– هل تعتقدين أنه سيقدر لنا أن نلتقي ثانية؟

– وهل ثمة ما يحول دون ذلك؟

– كثير، فيما أعتقد.

فتطلعت إليه، ثم أشاحت عنه بوجهها قائلة:

– هذا الفراق يجب أن يحدث. إنه جزء من عملنا.

– العمل! هذا العمل الذي يحتل كل تفكيرك.

– هذا ما يجب أن يكون.

– إنك محترفة. أما أنا، فإنني من الهواة. من أنت؟ من عساك أن تكوني؟ إنني لا أعرف شيئًا عنك.

ونظر إليها ورأى الأسى في وجهها. الأسى البالغ حد الألم.

– أوترين، مع ذلك أنه ينبغي لي أن أثق بك؟

– كلا. وهذا هو ما علمتني إياه الحياة. فلا يوجد ذاك الشخص الذي يمكن أن

نوليه ثقتنا. ولتذكر هذا، دائمًا.

– إذن، فهذا هو عالمك، عالم من الشك، والخوف، والمخاطرة.

– إن كل ما أرجوه أن أظل على قيد الحياة.

– أدرك هذا.

– كما أريد لك أن تبقى على قيد الحياة.

– لقد أوليتك ثقتي في "**فرانكفورت**"...

– ولقد خاطرت بذلك.

– كانت مخاطرة تساوي الكثير. إنك تدركين هذا جيداً.

– تعني لأن...؟

– أعني لأنها أتاحت لنا أن نقضي فترة معا. والآن... ها هم يعلنون رقم طائرتي.

أوقدر لزمالتنا التي بدأت في أحد المطارات أن تنتهي هنا في مطار آخر؟ إلى أين أنت ذاهبة؟ وماذا أنت فاعلة؟

– سأذهب إلى "**بلتيمور**"، و"**واشنطن**" و"**تكساس**"؛ لأقوم بما عهد إليّ القيام به.

– وماذا عني؟ إنني لم يعهد إليّ بشيء، سوى أن أعود أدراجي إلى "**لندن**" – فماذا عليّ أن أفعل هناك؟

– تنتظر.

– أنتظر ماذا؟

– تنتظر ما ستتكشف عنه الأحداث.

– وبعد؟

فانفرجت شفتاها عن ابتسامتها المرحة التي عهدها وقالت:

– ثم تقوم بدورك الذي سيملى عليك من أناس سوف يتصلون بك. ولسوف

يحسن اختيارهم، لأن هذا من الأهمية بمكان.

– عليّ أن أسرع الآن. وداعًا، "ماري آن".

وما إن فرغ من استعراض موقف الوداع، حتى أيقظه رنين التليفون من تأملاته. فنهض إلى حيث رفع السماعة ليدوي في أذنه صوت لم يخطئه، قائلاً:

– "ستافورد ناي"؟

فأجاب بما هو مطلوب منه:

– لا دخان بدون نار.

– لقد أشار عليَّ طبيبي بالإقلاع عن التدخين. هل من أنباء؟

وكان المتحدث هو الكولونيل "بايكواي". فأجابه "ستافورد ناي":

– أجل. ثلاثون قطعة من الفضة. تبشر بالكثير. ولقد وعدت...

– بماذا؟

– لقد أسمعتهم لحنًا. لحن نفير "سيجفريد". وكنت أعمل بمشورة عمة عجوز. وقد أنتج اللحن أثره.

– لا أكاد أصدق ما أسمع.

– هل تعرف أغنية اسمها "جوانيتا"؟ يجب أن ألم بهذا اللحن فربما غدوت بحاجة إليه.

– وهل تعرف من عساها أن تكون "جوانيتا"؟

– أعتقد هذا.

– عجبًا... لعلك سمعت عنها في "بلتيمور" أخيرًا؟

– ماذا عن فتاتك اليونانية، "دافن تيودوفانوس"؟ ترى أين هي الآن؟

– جالسة في مطار بمكان ما من "أوربا" في انتظارك، فيما أرجح.

– إن معظم المطارات الأوربية مغلقة بسبب الأحداث الأخيرة.

*****

# - 20 -

بادر الأمير "بلانت" الفتاة التي فتحت الباب بقوله:

– لقد خيل إليّ أنكم جميعًا في عالم الأموات.

وكان كلامه موجها إلى الفتاة التي لا يذكر سوى اسمها الأول، "آمي"، والتي ينسى دائمًا لقبها واستطرد قائلاً:

– لقد حاولت الاتصال بكم تليفونيًّا في الأسبوع الماضي أكثر من مرة، فقيل لي إنكم سافرتم إلى الخارج.

– كنا في الخارج فعلاً. وقد عدنا لتونا.

– ما كان ينبغي لـ"ماتيلدا" – وهي في مثل سنها هذه – أن تفعل ذلك. إن ركوب الطائرات لا يتفق وارتفاع ضغط الدم أو ضعف القلب. ثم إن ركوب الطائرات أصبح غير مأمون العاقبة في أيامنا هذه.

– لقد وافق طبيبها على سفرها.

– هذا هو شأن الأطباء دائمًا.

– الواقع أن هذه الرحلة قد أفادتها كثيراً.

– إلى أين سافرت؟

– إلى "ألمانيا" للاستشفاء. لست أدري على وجه التحديد أكانت "ألمانيا" أم "النمسا".

– وهل استمتعتم بإقامتكم؟

– إلى حد ما. لقد كانت المناظر خلابة، غير أن... وهنا دوى صوت من الطابق الأعلى مناديًا:

– "آمي"، "آمي"! ماذا تفعلين؟ وفيم هذا الحديث الطويل في البهو؟ فليصعد الأمير "بلانت" فورا. إنني في انتظاره.

وبعد أن قام الأمير "بلانت" بتحية صديقته القديمة قال لها:

– هل تراك تحذين حذو "**جاليفر**" في رحلاته؟ الا تعرفين أنك تقتلين نفسك بهذه الطريقة؟

– كلا، كلا. لم يعد في السفر مشقة في أيامنا هذه.

– كيف؟؟ تلك المطارات، وهذه السيارات الكبيرة، وذلك الدرج المتحرك أو غير المتحرك. إن الأمر لا يقتصر على ركوب الطائرة فقط.

– كنت أستعمل مقعداً متحركًا.

– لقد كنت تزعمين منذ عام أو عامين أنه ليس بك حاجة إلى هذا المقعد.

– دعنا من هذا يا "**فيليب**"، وحدثني عن السبب الذي حدا بك أن تزورني بعد أن انقطعت عن زيارتي لأكثر من عام.

– معذرة لانشغالي عنك، ثم إن صحتي لم تكن على ما يرام.

فقالت السيدة "**ماتيلدا**":

– ولكنني أراك بخير. فليكن، ما الذي جاء بك؟

وأمرت السيدة "**ماتيلدا**" الفتاة "**آمي**" بأن تقدم إلى الزائر قدحًا من الشراب. وبعد أن غادرت "**آمي**" الغرفة لتنفيذ الأمر، قال "**الأمير**":

– حينما تعود بالشراب عليك أن تتخلصي منها؛ لأني أريد أن أتحدث إليك حديثًا خاصًا.

وعادت "**آمي**" بالشراب. ونفذت السيدة "**ماتيلدا**" ما سألها إياه ضيفها، وبعد أن أغلقت الفتاة الباب بدأ "**بلانت**" حديثه قائلاً:

– لقد جئت لاستشارتك.

– في ماذا؟ في أمر يتصل بصحتك أو في أي من شئونك الخاصة؟

– كلا. إنها استشارة في أمر خطير. ولقد دار بخلدي أنك ربما استطعت أن تستعيدي ذكرى شيء من أجلي.

– يا عزيزي "**فيليب**"، من أين لك هذه الثقة في ذاكرتي؟ إن التقدم في السن

له أثره العميق فيمن بلغ عمري. إنني لم أعد أذكر سوى أحداث الصبا وأصدقاء الشباب.

– أين كنت؟

– كنت في زيارة صديقة قديمة لم أرها منذ أربعين أو خمسين عامًا.

– من عساها أن تكون؟

– إنها من أكثر النساء بدانة، وأبشعهن خلقًا.

– يا له من ذوق شاذ!

– هيا، حدثني بما تريد مني أن أستعيد ذكراه.

– كنت أتساءل عما إذا كنت تتذكرين شيئًا عن صديق يدعى "**روبرت** هورشام".

– "**روبرت هورشام**"؟ بكل تأكيد.

– العالم الكبير.

– أجل، بكل تأكيد. إنه من طراز لا ينساه المرء. ترى، ما الذي دعاك إلى ذكره؟

– موضوع عام.

– عجبًا أن أسمع منك ذلك. إن هذا هو عين ما دار بخلدي في ذلك اليوم.

– ما الذي دار بخلدك؟

– إنهم في حاجة إليه. أو إلى من هو على شاكلته إن وجد.

– لا يوجد له نظير. "**ماتيلدا**"، أصغي إليّ.. إنني أريد أن أعرف ما إذا كان "**روبرت**" قد تحدث إليك، أيام كان يستطيع ذلك، عن شيء يطلق عليه اسم المشروع ب.

– المشروع ب. يخيل إليّ أنني سمعت بشيء من هذا القبيل. المشروع كذا أو العملية كذا. غير أنك يجب أن تعرف أنني لم أكن أفهم شيئًا من حديثه ولكنه

كان يجد مسرة فيما يختلج به وجهي من أمارات الدهشة. المشروع ب؟ أجل، لقد كان هذا منذ فترة طويلة.. وكان منفعلا جدا ولطالما كنت أستفسر منه من حين لآخر عما تم بشأن هذا المشروع.

– كنت واثقًا بقوة ذاكرتك. والآن، أريد أن أسمع المزيد مما حدثك به "روبرت" عن المشروع ب.

– قد أجد في هذا مشقة. لقد ذكر هذا المشروع في معرض حديثه عن عملية تتصل بعقول الناس... هؤلاء الناس الذين ينظرون إلى ما حولهم بمنظار أسود، والذين يستبد بهم القنوط إلى حد التفكير في الانتحار، والذين يعانون عقدا نفسية نتيجة لحالات من "النورستانيا" الشديدة، إلى آخر هذه الظواهر التي تحدث عنها "فرويد". ثم كان يتحدث بعد ذلك بأسلوب علمي يقرنه بتنفيذ المشروع ب. ولعلك تدرك أنه ليس في وسعي أن أعيد سرده على سمعك، لأنني لم أكن أفهم منه شيئًا في متابعتي له.

– ألا تستطيعين أن تذكري طرفًا من هذا الحديث العلمي؟

– حينما كان يحدثني عن ظاهرة الابتئاس هذه قلت له، لماذا لا ينصرف العلماء إلى اختراع ما يجعل مثل هؤلاء الناس يشعرون بالسعادة، إنه أمر لن يستعصي على هؤلاء العلماء. وكان قد حدثني عن تلك الجراحة في المخ التي يحاولون بها استئصال أسباب الابتئاس والقلق، وقلت له إنه في وسع هؤلاء العلماء، إذا ما أرادوا، أن يتوصلوا إلى اختراع يشيع السعادة في قلوب الناس ويعمل على استرخاء أعصابهم. ولم أكن أعني، بداهة هذه الأقراص المنومة والمهدئة. وكان يصغي إليّ باهتمام مرددًا: "يا لها من فكرة صائبة".

– وهل هذا هو مضمون المشروع ب.

– لست أدري، لأنه لم يحدثني بتفصيلاته أو بكنهه، ولا بما ينطوي عليه صدره. لقد كنت أتحدث عن سعادة الناس وما يكفل للجميع الشعور بالبهجة

والانشراح. إنك تعرف انني لا احب ان اسمع شاكيًا او باكيًا. لأنني احب الخير للجميع. لقد تحدث عن المشروع ب كما تحدث عن غيره. ولقد اختلط الأمر في ذهني.

فسألها الأمير "بلانت":

– هل هذا هو كل ما تتذكرينه عن المشروع ب أو ما يتصل به؟

– هذا ما اعتقده. واتذكر انني بعد فترة زمنية أخرى استفسرت منه عما تم بشأن المشروع ب، أو "**بن**" كما سمعته يسميه فيما بعد، فقال لي إنه وضعه على الرف مؤقتًا ثم اقبل متسائلاً في يوم ما، عما إذا كنت اذكر مشروع "**بن**"؟ فاجبته بأنني اذكر انه نحاه جانبًا. ثم علمت انه عاد لإحيائه بناء على ما استجد من أسباب مشجعة وخواطر ملحة.

وراح يتحدث عن تجاربه الجديدة وعن احتمالات النجاح. كما وردت على لسانه أسماء بعض الأدوية والعقاقير. ثم لاحظت تردده بين احتمالات المخاطرة واحتمالات النجاح المرتقب. ولعلك أكثر دراية مني بعقلية هؤلاء العلماء وأسلوب تفكيرهم.

– وماذا عن رأي زملائه من العلماء؟ وما الأساس في كلمة "**بن**" التي يقرنها بالمشروع؟

– "**بن**" اختصار الكلمة التي تعني الخير. فقد رأى ان يشيع أن كثيرين منهم يعرفون شيئًا عن المشروع. كانت تعمل معه في المشروع فتاة نمساوية تدعى "**ليزا**"، وشاب يدعى "**لدنتال**"، ولكن هذا الأخير قضى نحبه متأثرًا بمرض السل. اما سائر من كانوا يعاونونه في العمل فليسوا من العلماء، وهم لا يعرفون شيئًا عما يفعلونه. وأعتقد انه لم يفض إلى احد بسره، وانه احرق مذكراته قبل ان يقلع عن المضي قدمًا في تنفيذ أو استكمال مشروعه.

ثم كان ان مرض وأصيب بالشلل، وهو الآن يقضي حياته في الاستماع إلى

الموسيقى.

– أي أن حياته العملية قد انتهت؟

– نعم وهو يؤثر العزلة عن الناس، ويعتذر عن استقبال أصدقائه.

فسأل "**بلانت**":

– هل لديك عنوانه؟

– أجل. إنه يقيم في شمال "**اسكتلندا**". غير أنك يجب ألاّ تنسى أنه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة. إنه لم يعد يصلح لشيء.

فقال الأمير "**بلانت**" معقبًا:

– يجب ألاّ يفقد الإنسان الأمل، والرجاء، والإيمان، ما دام على قيد الحياة.

## - 21 -

كان البروفيسور "**جون جوتليب**" جالسًا في مقعده يحدق النظر إلى السيدة الجميلة الجالسة أمامه. أما هو فكان دميمًا أقرب شبهًا بالقرد منه بالإنسان. وقال بعد أن أتى بحركة عصبية:

– إن هذا لا يحدث كل يوم، أن تحمل إليّ سيدة شابة رسالة من رئيس "**الولايات المتحدة**". ومع ذلك فإن الرؤساء لا يعرفون دائمًا ما هم فاعلون. فيم هذا كله؟ أرى أنك مفوضة بجميع السلطات.

– لقد جئت لأستفسر منك عما تعرفه عن مشروع يسمى "**مشروع بينفو**"، وعما إذا كنت تستطيع أن تحدثني بشيء عنه؟

– هل أنت حقا الكونتسّة "**ريناتا زركوفسكي**"؟

– والمعروفة باسم "**ماري آن**".

– هذا صحيح. وتريدين أن تلمي بمشروع "**بينفو**". حسن، لقد كان هنالك مشروع بهذا الاسم ولقد مات هذا المشروع وقبر، وقد يكون هذا هو مصير الرجل

الذي يرجع إليه الفضل فيه.

– تعني البروفيسور "هورشام"؟

– أجل. "روبرت هورشام". قمة في النبوغ والذكاء. غير أنه لم يقدر لهذا العالم الفذ طول البقاء.. إن فقده خسارة كبرى للعلم.

فقالت "ريناتا":

– ولكنه ما زال على قيد الحياة.

– هل أنت واثقة بما تقولين؟ إننا لم نسمع عنه شيئًا منذ فترة طويلة.

– إنه مريض. وهو يقيم في شمال "اسكتلندا"، إنه مصاب بالفالج ولا يستطيع التحدث بسهولة، ولا الانتقال من مكانه إلاّ بصعوبة. وهو يقضي وقته في الاستماع إلى الموسيقى.

– فهمت. ويسرني أن سمعت أنه على قيد الحياة. غير أني أرى مع ذلك كله أنه في حكم العدم.

– إذن، فقد كان هنالك مشروع بهذا الاسم؟

– أجل، وكان مهتمًا به إلى أقصى حد.

– وهل تحدث إليك بشأنه؟

– أجل. لقد تحدث إلى البعض منا في باكورة أيامه. هل أنت من العلماء؟

– كلا، إنني..

– أنت لست سوى عميلة. وأرجو أن تكوني موفدة من الفريق المصيب، الملتزم بجادة الحق. ومع ذلك، فلست أعتقد أنك ستحصلين على شيء من مشروع "بينفو".

فسألت "ريناتا":

– ولم لا؟ ألم تقل إنه كان يعمل لتحقيقه؟ إن هذا المشروع لو تم لصاحبه تنفيذه، لكان من الممكن أن يصبح اختراعًا عظيما.

– أجل. فلو كان قدتحقق له ذلك، لرأينا فيه اكتشافًا له قدره الكبير في عصرنا هذا. ولست أدري السبب في توقف خطوات العمل به، وما صادفه من عثرات؟ وما السر في انصراف "**هورشام**" عنه والإقلاع عن إنجاز ما كان بسبيل إنجازه؟ وأدهى من ذلك أنه لم يبق على شيء من مدوناته كما قال لي. لقد أحرق جميع الأوراق التي بها التركيبات. وبعد أن قام بذلك أصيب بالفالج في مدى ثلاثة أسابيع. هذا هو الواقع؛ ولذلك تجدينني عاجزًا عن الإجابة عن سؤالك. إنني لا أذكر عن المشروع سوى اسمه، وسوى أن كلمة "**ب**" ثم "**بن**"ثم "**بينفو**"، تعني كلمة الخير. هذا هو كل ما أذكره عن هذا المشروع الذي كنت أود أن يتم.

## - 22 -

كان الأمير "**إلتامونت**" يقوم بالإملاء. وبدا صوته الذي كان في يوم من الأيام مدويًا وذا سطوة وجبروت بدا رقيقًا خفيضًا، هادئًا وكأنه طيف من الماضي، يختلج عاطفة وتأثرًا.

وكان "**جيمس كليك**" يدون الكلمات كما تصدر عن صاحبها، ولا يتوقف عن الكتابة إلاّ في تلك الفترات من التردد والترقب.

قال الأمير "**إلتامونت**":

– إن المثالية يمكن أن تنهض حينما تثيرها الخصومة الطبيعية للظلم. وهذا هو الانتكاس الطبيعي للمادية المركزية. ومثالية الشباب الطبيعية تغذيها على مر الزمن تلك الرغبة في القضاء على هذين الوجهين للحياة العصرية. الظلم والمادية الثقيلة. والرغبة العارمة في القضاء على كل ما هو شر تؤدي إلى استمراء العنف وإيلام الغير، وجميع هذه الخصال يمكن أن تقوى وتستشري نتيجة لما يقوم به الغير ممن أوتوا موهبة الزعامة المتسلطة. وجدير بالذكر، أن الجيد من هذه الخصال يمكن أن يُنمى ويُوجه إلى حب الخير للناس قاطبة. أما الرديء منها، وبالذات حب العنف –

لا لشيء سوى العنف – فلا يمكن أن يستقيم عوده، بل يبقى على حاله الذي جبل عليه.

وفي هذه اللحظة سمع أزيز جهاز الاتصال الداخلي، وعلى أثر إيماءة بالموافقة من الأمير "**إلتامونت**" رفع "**جيمس كليك**" السماعة، ثم قال:

– السيد "**روبنسون**" هنا.

– دعه يدخل. يمكن أن نستكمل هذا فيما بعد.

ونهض "**جيمس كليك**" تاركًا كراسته وقلمه. وأقبل السيد "**روبنسون**"، الذي أعد له "**جيمس كليك**" مقعداً مريحًا. وابتسم السيد "**روبنسون**" شاكرًا، وهو يتخذ له مجلسًا إلى جانب الأمير "**إلتامونت**"، الذي بادره قائلاً:

– حسنٌ. هل جئت بجديد؟ رسوم هندسية؟ دوائر؟

– بل أكثر من ذلك. جئت بتخطيط لمجرى النهر.

– نهر؟ أي نهر؟

– نهر من المال. إن المال أشبه ما يكون بالنهر الذي ينبع من مكان ما وينتهي حتمًا إلى مكان ما.. إنها أمور بالغة التشويق – هذا إذا كانت تعنيك حقًّا – وهي تحدثنا بالكثير.

وبدا أن "**جيمس كليك**" لا يفهم شيئًا، ولكن "**إلتامونت**" قال:

– فهمت، فلتواصل حديثك.

– إنه يتدفق من "**اسكنديناوة**" – ومن "**بافاريا**" – ومن "**الولايات المتحدة**" – ومن جنوب شرق "**آسيا**". وتمده روافد أقل شأنًا في طريق مجراه.

– وإلى أين المصب؟

– أساسًا إلى "**أمريكا الجنوبية**"؛ لسد حاجات القيادة الجديدة للشباب المجاهد المتمثل في أربع من الدوائر الخمس التي اطلعت عليها: التسليح، والمخدرات ووسائل الحرب العلمية والكيميائية والتمويل.

- هل أنت واثق بذلك؟

- أجل. ونحن نعتقد أننا قد توصلنا إلى الكشف عمن يسيطر على تلك الهيئات.

وانبرى "**جيمس كليك**" متسائلاً:

- وماذا عن الدائرة الخامسة "ج" - "**چوانيتا**"؟

- لم نستوثق من أمرها بعد.

وعقب الأمير "**إلتامونت**" بقوله:

- إن لـ"**چيمس**" وجهة نظر في هذا الموضوع. وأرجو أن يكون مخطئًا فيما يرى. إن الحرف "ج" يسترعي الانتباه. أتراه يرمز إلى العدالة، أم إلى القصاص؟

فقال "**جيمس كليك**" - إنه يرمز إلى القاتل المكرس لهذه العملية، والنساء في هذا المجال أشد فتكًا من الرجال.

وأقره "**إلتامونت**" على وجهة نظره بقوله:

- وهناك سوابق تاريخية نعرفها جميعًا.

فبادره السيد "**روبنسون**" بسؤاله:

- وهل تعتقد أنك تعرف من عساها أن تكون "**جوانيتا**"؟

فأجاب "**جيمس كليك**":

- ربما كنت مخطئًا، يا سيدي. غير أن هناك من الشواهد ما حدا بي إلى الاعتقاد بأنني أعرفها.

فقال "**الأمير**":

- من الخير أن تفصح عن رأيك وما يجول في خاطرك يا "**جيمس**".

- إنها الكونتسَّة "**ريناتا زركوفسكي**".

- وما دليلك على هذا؟

- الأماكن التي كانت تتردد عليها، والناس الذين كانت تتصل بهم. ولقد

كانت تنقلاتها ولقاءاتها أبعد ما تكون عن أنها مصادفة. لقد كانت في "**بافاريا**". وهناك قامت بزيارة لـ"**شارلوت**" الضخمة. وأكثر من ذلك فإنها عمدت إلى اصطحاب "**ستافورد ناي**" معها وأرى أن في ذلك خير دليل.

فتساءل "**إلتامونت**":

– هل ترى في ذلك دليلاً على اشتراكهما معًا؟

– لا أود أن أزعم شيئًا من هذا القبيل. إن معلوماتي عنه قاصرة، وإن كنت..

ثم توقف عما كان بسبيل قوله. وأردف الأمير "**إلتامونت**" قائلاً:

– أجل. ثمة شكوك تحوم حوله. لقد كان موقفه مريبًا منذ البداية. وكان هذا هو رأي "**هنري هورشام**" فيه. وكذلك الكولونيل "**بايكواي**"، فيما أظن. وكان "**ستافورد**" موضوعًا تحت الملاحظة. وربما كان يدرك هذا؛ لأنه ليس بالرجل الفاضل.

وهنا قال السيد "**روبنسون**":

– "**ستافورد ناي**" تقوده "**ريناتا**" أو قل "**جوانيتا**"!

– فقال "**كليك**" موضحًا:

– يجب ألاّ ننسى ما حدث في مطار "**فرانكفورت**". ثم هذه الزيارة لـ"**شارلوت**". وسفره أخيراً معها إلى "**أمريكا الجنوبية**". أمّا هي، فماذا نعلم عن تحركاتها – وأين هي الآن؟

فعقب الأمير "**إلتامونت**" بقوله:

– يخيل إليّ أن السيد "**روبنسون**" يعرف الإجابة عن هذا السؤال. أليس كذلك يا سيد "**روبنسون**"؟

– إنها في "**الولايات المتحدة**". وسمعت أنها كانت في "**شيكاغو**"، ثم في "**كاليفورنيا**"، ثم سافرت إلى حيث قامت بزيارة لأحد العلماء البارزين. وهذا كان آخر ما سمعته عنها.

– وماذا تبغي من ذلك؟

– بديهي أنها تسعى للحصول على بعض المعلومات.

– أية معلومات؟

– كان بودي أن أعرف هذا. قد تكون هذه المعلومات هي ما نسعى نحن للحصول عليه. ومن يدري؟ أتفعل ذلك لحسابنا أم لحساب الطرف الآخر؟

ثم اتجه بحديثه إلى الأمير "إلتامونت" قائلاً:

– إنك مسافر الليلة إلى "اسكتلندا"، فيما أعلم؟

– أجل.

فقال "جيمس كليك":

– لست أوافق على هذه الرحلة يا سيدي، إن صحتك ليست على ما يرام. والرحلة شاقة بالنسبة إليك، سواء أكانت جواً أم براً. الا يمكن أن تدع هذه المهمة لـ"مونرو" و"هورشام"؟

– من العبث أن يركز من هم في مثل سني اهتمامهم في العناية بصحتهم. فما دمت أشعر بانني قادر على القيام بشيء جاد، فمن الخير لي أن ألفظ أنفاسي وأنا أعمل، كما يقولون.

والتفت إلى "روبنسون" قائلاً وهو يبتسم:

– يجدر بك أن تصحبنا.

## - 23 -

كان قائد الطائرة لا يفتأ يتساءل عما يعنيه هذا كله. إن فيما يشاهده ما يوحي بأن وراء الأكمة ما وراءها. إن قيادة طائرة إلى مكان غير مألوف، بمسافرين غير عاديين، أمر يدعو للتساؤل والحيرة. إنه يعرف بعض المسافرين بهذه الطائرة، ولكنه لا يعرف الآخرين لقد تعرف الأمير "إلتامونت". هذا الرجل العليل الذي ظل على

قيد الحياة بفضل قوة إرادته. وهذا الرجل صقري الوجه الذي يرافقه، لابد أنه حارسه الخاص. كما تعرف أيضا "هنري هورشام". رجل الأمن والكولونيل "مونرو"، الذي كان يبدو قلقًا. أما هذا الرجل البدين أصفر الوجه، فإنه على الأرجح أجنبي وقد يكون آسيويًا. ماذا تراه فاعلاً في شمال "اسكتلندا"؟

وكانت هناك سيارة في انتظارهم عند محطة الوصول. واستفسر الكولونيل "مونرو" عن المسافة بين المطار وبين جهتهم، فعلم بأنها سبعة وعشرون كيلومترا، في طريق وعر. وسأل الكولونيل "مونرو" قائد الطائرة قبل أن يستقلوا السيارة أن يعيد على سمعه ما لديه من أوامر. وبعد أن اطمأن إلى أنه لم يغفل منها شيئًا، انطلق هو ورفاقه بالسيارة تاركًا قائد الطائرة في عجب من أمر هؤلاء الرجال الذين يتجشمون مشقة السفر إلى هذه القلعة القديمة التي يقيم بها رجل مريض عاجز.

ومضت السيارة بهم قدمًا، إلى أن توقفت بهم أمام باب الحصن القديم. وفتح الباب الضخم قبل أن يطرقه أحد. ووجدوا أمامهم امرأة اسكتلندية تجاوزت الستين من عمرها، بوجهها الجاد ونظراتها الصارمة. وقام كل من "هورشام" و"جيمس كليك" بمعاونة الأمير "إلتامونت" على ارتقاء الدرج. وتنحت المرأة الاسكتلندية جانبًا لتفسح الطريق للقادم الكبير قائلة:

– مساء الخير، سيدي "الأمير". إن السيد في انتظارك؛ لأنه يعلم بقدومك. ولقد أعددنا الغرف اللازمة لكم، وأوقدنا المدافئ بها.

وفي البهو كانت تقف سيدة فارعة الطول، قد قاربت الستين من عمرها. وكانت محتفظة بآثار جمالها. معنية بأناقتها. وقدمتها لهم المرأة الاسكتلندية قائلة:

– هذه هي الآنسة "نيومان" التي ستتولى العناية بكم، وتقوم على رعايتكم.

فقالت الآنسة "نيومان":

– شكرًا "چانيت". عليك أن تتولي أمر نيران المدافئ في الغرف.

– سمعًا وطاعة.

ومد الأمير "**إلتامونت**" يده يصافحها قائلاً:

– طاب مساؤك يا آنسة "**نيومان**".

– طاب مساؤك يا أمير "**إلتامونت**". أرجو ألاَّ تكون الرحلة قد أتعبتك.

– كان الطيران مريحًا. هذا هو الكولونيل "**مونرو**"، يا آنسة "**نيومان**" وهذا هو السيد "**روبنسون**"، والسيد "**جيمس كليك**" والسيد "**هورشام**"، من مصلحة الأمن العام.

– إنني أذكر لقائي بالسيد "**هورشام**" منذ بضعة أعوام.

فعقب "**هنري هورشام**" بقوله:

– إنني لم أنس هذا اللقاء. لقد تم في مؤسسة "**ليفسون**". لقد كنت سكرتيرة البروفيسور "**هورشام**" حينذاك.

– كنت مساعدته في المعمل، ثم غدوت سكرتيرته. وما زلت كذلك. كما أنه بحاجة إلى ممرضة تقوم على رعايته صحيًّا، بالتناوب مع غيرها. والآنسة "**أليس**" هي الموجودة حاليًا، وقد استلمت العمل من الآنسة "**بيود**" من يومين. وقد رأيت أن تكون على مقربة منه، حين اجتماعكم به.

فسألها الكولونيل "**مونرو**":

– هل ساءت صحته كثيراً؟؟

– يمكن أن نوجز في إيضاح حقيقة حالته الصحية، بأنه ليس أكثر من حطام.

فسألها:

– وماذا عن قواه العقلية؟ هل يستطيع أن يعي ما يقال له؟

– أجل، تمام الوعي. غير أنه لا يستطيع الكلام بطلاقة. إن عقله في رأيي، لم يتأثر بمرضه.

وتقدمتهم "**ليزا نيومان**" ترتقي الدرج إلى دهليز، حيث فتحت باب غرفة

متوسطة الحجم، وكان في جانب من الغرفة جهاز تسجيل.

وكان الرجل المديد القامة جالساً في مقعد بجوار المدفأة، وآثار الشلل واضحة على وجهه وفي حركة يده اليسرى. وليس من شك في أنه كان حطام رجل. حطام رجل كان في يوم ما، طويل القامة، قوي البنية. وكانت عيناه تشعان ذكاء ووعياً. وكأنه يحاول أن يقول شيئًا. واتجهت "**ليزا نيومان**" لتقف إلى جانبه. وهي تتابع حركات شفتيه، لتقوم بتفسير ما يقوله عند الاقتضاء ثم قالت:

– إن البروفيسور "**هورشام**" يرحب بكم. وهو سعيد بزيارتكم ويريد مني أن أقول لكم إنه قادر على سماع ما تقولون بجلاء. أما ما يريد أن يقوله فسوف أعاونكم على فهمه.

فقال الكولونيل "**مونرو**":

– سأحاول ألا أثقل عليك يا سيدي "البروفيسور".

وأومأ الرجل المريض برأسه عرفانًا وتقديراً. واستطرد "**مونرو**":

– ويمكن أن أوجه بعض الأسئلة إلى الآنسة "**نيومان**".

وعاد الرجل العليل ليومئ برأسه موافقًا. فقال الكولونيل "**مونرو**":

– لقد تلقيت رسالة مني، أليس كذلك؟

– بلى. لقد تسلمها البروفيسور "**هورشام**" واطلع على ما بها.

وعندئذ فتح الباب وأطلت منه إحدى الممرضات وقالت في همس:

– الآنسة "**نيومان**"، هل ثمة ما يمكن أن أقوم به؟

– شكراً، يا آنسة "**أليس**". أرجوك أن تلزمي غرفتك عبر الدهليز، لتكوني على مقربة منا.

– بكل تأكيد.

وأوصدت الباب في رفق لتعود إلى مكانها. وقال "**مونرو**":

– ليس من شك في أن البروفيسور "**هورشام**" يتابع مجرى الأحداث.

– إنه ملم بكل ما يهمه الإلمام به.

– هل هو على اتصال بالإنجازات العلمية الحديثة؟

وكان "**روبرت هورشام**" هو الذي تولى الإجابة هذه المرة:

– لقد انصرفت عن كل ما يمت للعلم بسبب، ونفضت يدي من ذلك.

– ولكنك تدرك ما يحدث في العالم؟ وما أحرزته ثورة الشباب من نجاح. ومحاولة هؤلاء الاستيلاء على مقاليد الأمور في العالم.

وانبرت الآنسة "**نيومان**" تقول:

– إنه على اتصال بكل ما يجري – من الناحية السياسية فقط.

– إن العالم يتعرض لأعمال من العنف، وهو ضحية لاتجاهات ثورية عارمة، ولنظرية غير معقولة عن حكم الأقلية الفوضوية.

فتقدم السيد "**روبنسون**" قائلاً:

– إنه يعرف كل هذا. ولا حاجة بنا لإضاعة الوقت في ترديد هذه الحقائق التي يدركها الرجل تمام الإدراك. سيدي، هل تذكر شيئًا عن الأمير "**بلانت**"؟

فأومأ الرجل برأسه إيجابًا. وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عابرة.

ومضى "**روبنسون**" يقول:

– إن الأمير "**بلانت**" يذكر شيئًا عن جهودك العلمية في مشروع معين – مشروع "**بينفو**".

وتبين الجميع ما ومضت به عينا الرجل. وأجابت الآنسة "**نيومان**":

– مشروع "**بينفو**"؟! إنك تعود بالزمن القهقرى، يا سيد "**روبنسون**".

– لقد كان هذا المشروع مشروعك، أليس كذلك؟

وكانت الآنسة "**نيومان**" هي التي تتولى الإجابة دون تردد:

– بلى: لقد كان مشروعه.

– إننا لا نستطيع استعمال الأسلحة الذرية. ولا نستطيع استعمال المتفجرات،

ولا الغازات السامة ولا الكيميائيات. أما مشروع "بينفو" فهو ما نستطيع استعماله.

وخيم السكون على الغرفة، وران صمت مطبق على الجميع. ثم بدأ البروفيسور "هورشام" يحاول النطق والتحدث إليهم. وقالت الآنسة "نيومان" محاولة التعبير عما يريد الإدلاء به:

– إنه يقول، بكل تاكيد. فمن الممكن استعمال "بينفو" بنجاح.

ثم استدار الرجل المريض إليها يحدثها بما يشاء، وقالت:

– إنه يريد مني أن أزيدكم إيضاحًا. إن "مشروع ب"، الذي سمي فيما بعد بمشروع "بينفو" كان مشروعًا عمل فيه طوال عدة أعوام، ثم أفرغ يديه منه لأسباب خاصة به..

– هل فشل في تجسيد مشروعه؟

– كلا، إننا لم نفشل. فلقد كنت أعمل معه في هذا المشروع إنه نحاه جانبًا لأسباب معينة، ليس الفشل من بينها. لقد كان موفقًا أيما توفيق.

– نرجوك أن تزيدينا إيضاحا.

– ولكنه يريد أن يعرف أولاً كيف علمتم بأمر هذا المشروع.

– لقد علمنا به عن طريق أحد أصدقائه. علمنا به من السيدة "ماتيلدا كليكهيتون" التي تحدثت إليها عنه ذات يوم.

وبعد أن تأملت "ليزا نيومان" حركة شفتي الرجل المريض قالت:

– يقول إنه كان يعتقد أن "ماتيلدا" قد انتقلت إلى العالم الآخر منذ عدة أعوام.

– إنها ما زالت على قيد الحياة. وهي التي أفضت إلينا بسر هذا المشروع وأرادت منا أن نعرف كل شيء عنه.

– سيحيطكم البروفيسور "هورشام" علمًا بالنقاط الرئيسية لما تريدون الإلمام به،

وإن كان يجد لزامًا عليه أن يبصركم بأن ما ستسمعونه منه لن يفيدكم في كثير أو قليل. لقد أعدم كل ما له علاقة بهذا المشروع من أوراق ومذكرات. وإرضاء لفضولكم يمكنني أن أوافيكم بالخطوط الرئيسية المضمونة. إنكم تعرفون بطبيعة الحال فوائد استعمال الغاز المسيل للدموع الذي تستعمله الشرطة لمقاومة المشاغبين والمتظاهرين إلى آخر ما هو من هذا القبيل.

– وهل هذا المشروع من الفصيلة نفسها.

– كلا، وإن كان يؤدي إلى الغرض المقصود منه نفسه. ولقد تبادر إلى أذهان العلماء أنه يمكن التأثير بوسيلة أو بأخرى في بعض نواح من خصائص الإنسان العقلية، ومن خصاله. ويريد البروفيسور "هورشام" أن يحيطكم علمًا بأن ثمة وسيلة يمكن بها تغيير نظرة الإنسان للحياة. وأن من شأن مشروع "بينفو" أن يحول نزعات العنف والغضب، والسخط إلى نزعات مضادة يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي (النزعات الخيرة). بمعنى أن الإنسان يجنح للخير بدلاً من الشر، وللإحسان إلى الآخرين بدلاً من الإساءة إليهم.

– وما مدى تأثيره؟

– إن تأثيره ليس مؤقتا، إن له صفة الدوام.

– الدوام؟ أي أنكم بهذا العقار تغيرون طبيعة الإنسان، وتكوينه الخلقي دون رجعة إلى ما كان عليه..؟

– أجل. وهو اكتشاف له فوائده في حالات كثيرة... مثل الحروب، والثورات، وأعمال الفوضى. إنه اكتشاف لسعادة الغير! سعادة دائمة للغير.

فقال السيد "روبنسون" :

– رائع. يا له من اكتشاف مذهل. حبذا وضْع هذا الاكتشاف موضع التنفيذ. ولكن، فيم كل هذا؟ ولماذا؟

واستدار الرجل العليل برأسه تجاه السيد "روبنسون" ، وقالت الآنسة

**"نيومان"** :

– يريد أن يقول إنك أكثر إدراكًا من الآخرين.

وانبرى **"جيمس كليك"** قائلاً:

– إن هذا ما أدركناه جميعًا، وما صدر عن السيد **"روبنسون"** هو رد الفعل الطبيعي للإحاطة بتاثير هذا الاكتشاف! إنه رائع فعلاً.

وكانت الآنسة **"نيومان"** تحرك راسها نفيًا، وهي تقول:

– إن مشروع **"بينفو"** ليس للبيع أو الإهداء.

وقال الكولونيل **"مونرو"** وهو غير مصدق:

– هل نفهم من قولك أن الرد بالنفي؟

– أجل، وهذا ما يريد "البروفيسور" أن يقوله لكم. لقد رأى فيه أنه ضد...

ثم توقفت لتتطلع إلى الرجل الذي كان ياتي بحركات براسه ويده اليمنى، وتصدر من بين شفتيه أصوات غير مفهومة. وتريثت قليلاً ثم قالت:

– إنه سيحاول أن يخبركم بنفسه. لقد كان خائفًا مما فعله العلم في عهد ازدهاره. تلك الأشياء التي توصل العلم إليها، وكشف عنها النقاب، تلك الأشياء بالذات، بقدر ما كان فيها من نفع كانت ضارة بالإنسان، فها هو البنسلين بقدر ما أنقذ من حياة، قضى على حياة أخرى. وها هي الذرة بقدر ما فيها من نفع، فيها من ضرر. بل إن ضررها أكثر من نفعها. إنه كان يخشى إساءة استعمال ما يكشف العلم النقاب عنه لصالح الناس.

– ولكن هذا المشروع سوف يستفيد الجميع من تنفيذه.

– لا تنس الآثار الجانبية التي تكتشف بعد طول الاستعمال وهذا ما حدا به إلى نبذ هذا المشروع.

وراحت تتلو على مسامعهم ما هو مدون في مذكرة أمسكت بها، بينما كان العالم الكبير يومئ برأسه موافقًا.. وكان المدون إقراراً منه بأنه رأى الإطاحة بهذا

المشروع والقضاء على كل ما يمت إليه بصلة؛ خوفًا من إساءة استعماله . وبعد أن فرغت الآنسة "**نيومان**" من التلاوة حاول "**روبرت هورشام**" جاهدًا أن يتحدث بلسانه المتلعثم إليهم، قال:

– لقد أعدمت نتاج عقلي وثمرة جهود الأعوام. ولا يعلم أحد في هذا العالم شيئًا عن كيفية اهتدائي لما توصلت إليه. ولقد ساعدني في هذا العمل رجل واحد، ولكنه الآن في عداد الموتى، لقد قضى السل على حياته بعد عام من نجاحنا. عليكم الآن بالعودة من حيث جئتم، فليس في وسعي مساعدتكم.

– إن في وسعك أن تنقذ العالم!

وأطلق الرجل المريض من فمه ضحكات مرتجفة، قبل أن يقول:

– أنقذ العالم! أنقذ العالم! يا لها من عبارة! أو ليس هذا ما يعتقد شبابكم أنه فاعله! إنهم يمارسون العنف والكراهية لإنقاذ العالم. ولكنهم لا يعرفون السبيل إلى ذلك! ولندعهم في طغيانهم. يجب أن ندع الأمور تجري على سجيتها، وألاّ نقاوم طبيعة البشر. . لئن حاولنا شيئًا من هذا القبيل، لناهضنا الله، وقاومنا قدره.

وراح الرجل يتطلع إلى المحيطين به. وكان يبدو وكأنه يناشدهم أن يفهموه، وأنه فاقد الأمل في حسن إدراكهم:

– لقد كان من حقي أن أقضي على ما صنعته يداي.

فقاطعه السيد "**روبنسون**" بقوله:

– أشك في هذا. إن المعرفة هي المعرفة. ولا يجب بحال ما أن تعدم المولود الذي أخرجته للحياة.

– لكل وجهة نظره. غير أنه لا معدى لك عن التسليم بالأمر الواقع.

وفي صوت مدوّ قال السيد "**روبنسون**" :

– كلا. .

فاستدارت إليه "**ليزا نيومان**" وقد استشاطت غضبًا، قائلة:

– ماذا تعني بقولك "كلا" ؟

ولم تحاول أن تخفي مشاعرها. وقد دار بخلد السيد "روبنسون"، أنها الفتاة المحبة المخلصة لـ"روبرت هورشام" . لقد أحبته، وعملت معه، وها هي الآن ترافقه في مرضه. وقال لها السيد "روبنسون" :

– ثمة أشياء يعرفها المرء مع الأيام ودورة الزمن ولست أعتقد أن الحياة ستمتد بي طويلاً؛ لأنني أشعر بهذا في قرارة نفسي.

ولقد عرفت من ماضي أيامي بضعة أمور. إنك خير من يدرك يا "هورشام"، أنني على حق فيما أقول. وأنا أعرف أنك رجل صادق أمين. وأنه ما كان لك أن تقضي على ثمار عملك. بل ولم يكن في وسعك أن تفعل هذا. إن نتيجة تجاربك وأبحاثك مودعة في مكان ما، في تحفظ وحرص عليها، ولعلك قد أودعتها أحد البنوك. ولابد أن الآنسة "ليزا نيومان" تعرف ذلك؛ لأنك قد أوليتها ثقتك، دون الناس جميعاً.

فقال "هورشام"، في صوت كان أكثر وضوحاً وجلاء:

– من عساك أن تكون؟ من أنت؟

– إنني رجل من رجال المال، يعرف الكثير عنه وعن كل ما يتفرع عنه. إن في وسعك أن تفعل الكثير، باستعادة ما مضى لقد سمعنا منك وجهة نظرك، ولست أزعم أنها كانت تجافي الصواب في كل نواحيها. قد تكون مصيباً فيما قلته عن المزايا والمساوئ. ولدينا من التاريخ أمثلة كثيرة على ما ذهبت إليه. غير أنه ليس من حقك على الإطلاق أن تحجب عن العالم ما توصلت إليه من اكتشاف قد ترجح مزاياه على مساوئه.

فقال الكولونيل "مونرو" :

– فيم كل هذا الحديث، وتلك المناقشة؟

فقالت الآنسة "نيومان" :

– عبثًا ما يحاول السيد "روبنسون" ، ولا جدوى مما يقول. إن رد البروفيسور "هورشام" قاطع... ولا يمكن إرغامه على القيام بما لا يريد.

وأردف الأمير "إلتامونت" قائلاً:

– كلا، إننا لن نرغم أحدًا أو نثقل عليك يا "روبرت" . لك أن تفعل ما تراه صوابًا. وهذا من حقك.

– "إدوارد" ؟

وحاول "روبرت هورشام" أن يواصل الكلام، ولكن لسانه عاد ليخذله ثانية، وبدأ يحرك يديه وراحت الآنسة "نيومان" تقول:

– "إدوارد" ؟ إنه يقول "إدوارد" ، أتراك "إدوارد إلتامونت" ؟ إنه يستفسر منك يا أمير "إلتامونت" ، عما إذا كنت راغبًا حقًّا في وضع مشروع "بينفو" تحت تصرفك؟ إنه يقول إنك الرجل الوحيد الذي وضع ثقته فيه من رجال الحكم في البلاد. فإذا ما كانت هذه رغبتك...

ونهض "جيمس كليك" واقفًا، وأسرع إلى جانب مقعد الأمير "إلتامونت" قائلاً:

– دعني أعاونك على النهوض يا سيدي. إنك مريض، ولست على ما يرام. أرجوك أن تبتعدي قليلاً يا آنسة "نيومان" . إن معي دواءه. وأعرف ما يجب عمله..

وأسرع يخرج من جيبه محقنة تحت الجلد قائلاً:

– ما لم أسرع بحقنه قبل فوات الأوان، فقد تسوء العاقبة.

وقبض على ذراع الأمير "إلتامونت" ، كاشفًا عنه قميصه تهيئة لحقنه. وبأسرع من لمح البصر، كان "هورشام" يقفز إلى حيث يقف "جيمس كليك" ؛ ليمنعه من تنفيذ ما كان يهم بالقيام به.

وحاول "كليك" أن يقاوم ولكن "هورشام" تغلب عليه، وكان "مونرو" قد

أسرع إلى معاونته.

وقال "مونرو":

- إذن فقد كنت أنت، "جيمس كليك"، الخائن الذي يمثل دور التابع الأمين.

وكانت الآنسة "نيومان" قد أسرعت إلى الباب تفتحه وتنادي الممرضة أن تسرع بالحضور. وأقبلت الممرضة، وألقت بنظرة خاطفة على البروفيسور "هورشام"، الذي أومأ بيده إلى حيث يقف "مونرو" ممسكًا بـ"كليك" الذي يحاول الإفلات منه. ووضعت الممرضة يدها في جيب معطفها. غير أن "هورشام" صاح قائلاً:

- إنه "إلتامونت". أزمة قلبية.

فزأر "مونرو" قائلاً:

- أزمة قلبية! كلا. إنه شروع في قتل.

ثم توقف فجأة عن إتمام كلامه، قائلا لـ"هورشام" قبل أن يقفز عبر الغرفة:

- لا تدعه يفلت منك.

ثم اتجه إلى الممرضة قائلاً:

- السيدة "كورتمان"؟ منذ متى التحقت بمهنة التمريض؟ لقد فقدنا أثرك منذ أن استطعت الهرب في "بلتيمور".

وكانت "ميللي چين" لم تخرج يدها بعد من جيبها. وفي تلك اللحظة أخرجتها بالمسدس الصغير. ورآها "مونرو" تتجه بنظراتها صوب "هورشام" فأسرع يحول بينها وبينه، كما أسرعت "ليزا نيومان" تقف أمام مقعده - وصرخ "جيمس كليك":

- "جوانيتا"، عليك بـ"إلتامونت" - أسرعي - عليك به.

ورفعت ذراعها وأطلقت النار.

وصاح "جيمس كليك":

- لقد أصبت الهدف!

وتمتم الأمير "**إلتامونت**" بصوت خافت، وهو يتطلع إلى "**كليك**" :

– "**چيمي**" ؟ حتى أنت يا "**بروتس**" ؟

ثم تداعى مستنداً إلى ظهر مقعده.

*****

تلفت الدكتور "**ماك كيلوك**" فيما حوله، وهو لا يدري ماذا هو قائل أو فاعل بعد كل ما قام به. لقد كان هذا المساء من الأمسيات غير العادية في حياته.

وأقبلت عليه "**ليزا نيومان**" بكأس في يدها، قائلة:

– قد تفيدك هذه.

– كنت أعرف دائماً أنك فتاة نادرة يا "**ليزا**" .

وراح يرتشف من كأسه مستمتعاً، ثم استطرد:

– بودي لو عرفت فيم كان كل هذا؟ أم لعلني لن أفوز منك بطائل لسرية الموضوع؟

– هل البروفيسور بخير؟

– أجل، إنه بخير. بل ولقد كان لما حدث رد فعل أفاده كثيراً.

– كنت أظن أن الصدمة..

فقاطعها "**هورشام**" قائلاً:

– إنني بخير. إن الصدمات خير علاج للصدمات. إنني أشعر بأنني عدت إلى الحياة من جديد.

وكان بادي الدهشة. فقال "**ماك كيلوك**" يحدث "**ليزا**" :

– ألم تتبيني قوة صوته؟ دعيه يزاول عمله بقدر الإمكان إن حياته في العمل، وما زال ذهنه متوقداً.

وكان "**هورشام**" يتطلع إليها مستحثًا، بينما كانت تنظر إليه في شك من

ذلك.

وانبرى الكولونيل "**مونرو**" قائلاً:

– دكتور "**ماك كيلوك**"، أعتقد أننا مدينون لك بشيء من الإيضاح لما حدث هذا المساء، وإن كان من المفروض كتمان الأمر نزولاً على مقتضيات السياسة العليا. إن مقتل الأمير "**إلتامونت**"...

فقاطعه الطبيب قائلاً:

– الواقع أن الوفاة لم تكن ناتجة عن الطلق الناري، لقد كانت بسبب الصدمة العصبية، وكان المفروض أن تؤدي المحقنة إلى ذلك لولا...

– لولا أنني انتزعتها من يد "**جيمس كليك**".

بهذا أردف "**هورشام**" موضحًا ما حدث. فقال الطبيب معقبًا:

– لقد كان دسيسة عليكم.

– أجل. وكان موضع ثقة الأمير "**إلتامونت**" وحبه؛ إذ كان ابنًا لأحد أصدقائه القدامى.

– هذا ما يحدث أحيانًا. والسيدة... هل كانت ضالعة معه؟

– أجل. وقد التحقت بالعمل هنا، كممرضة، بأوراق مزيفة. إن الشرطة تجد في أثرها لاتهامها بالقتل.

– القتل؟

– أجل. قتل زوجها، "**سام كورتمان**"، السفير الأمريكي. لقد أطلقت عليه النار بينما كان يرتقي درج السفارة – واخترعت القصة التي أدلت بها ضمن أقوالها عن مهاجمة شبان مقنعين له.

– وما سبب عدوانها عليه؟ أهو سياسي أم شخصي؟

– نعتقد أنها قتلت زوجها؛ لأنه اكتشف بعض نواحي نشاطها المنحرف.

وأردف "**هورشام**" قائلاً:

– أعتقد أنه شك في خيانتها لبلادها، إثر اكتشافه لخلية الجاسوسية والمؤامرات التي كانت تدبرها. وكان في حيرة من أمره، لا يدري ماذا يفعل في هذا الوضع وبالذات لأنه لم يكن سريع البديهة.

– وسمعوا جميعًا صوت البروفيسور "هورشام" ينطلق قائلاً:

– "ليزا"، سنبدأ معًا العمل من جديد.

فدهشوا، وراحوا يتطلعون إليه في حيرة. وقالت "ليزا":

– ولكن يا "روبرت"...

– لقد عدت إلى الحياة من جديد. ولتستفسري من الطبيب عن هذا.

وتطلعت "ليزا" إلى "ماك كيلوك" متسائلة، فقال:

– لئن فعلت ذلك، فلسوف تسيء إلى صحتك.

فقال "هورشام" معقبًا:

– إنكم دائمًا هكذا – معشر الأطباء – تجعلون مريضكم يعتقد أنه على حافة القبر.

فضحك الدكتور "ماك كيلوك" ونهض قائلاً:

– ليس إلى هذا الحد.. إننا نحرص على صحة مرضانا. سأبعث إليك ببعض الأقراص لتعينك على ما تبغي.

– لن اتناول منها شيئًا.

– بل سوف تتناولها بانتظام.

وتوقف الطبيب عند الباب، قائلاً:

– بودي لو عرفت... كيف تيسر لكم استدعاء الشرطة بهذه السرعة؟

– كانت لدى قائد الطائرة التعليمات اللازمة بالاستعداد لكل ما يحدث. وكنا نعلم بأن المرأة كانت تحوم حول المكان، وإن لم تكن لدينا أية فكرة عن أنها كانت موجودة في البيت فعلاً.

– لقد سمعت الكثير، وشاهدت عجبًا. وداعًا.

وانصرف الطبيب. وخيم على الغرفة السكون. وسمع صوت البروفيسور "هورشام" وهو يقول:

– هيا إلى العمل.

فقالت له "ليزا"، شأنها في هذا شأن سائر النساء:

– "روبرت"، عليك أن تتوخى جانب الحذر.

– كلا، كلا. إن الحياة أقصر من ذلك... سأعمل تخليداً لذكراه.

– ماذا تعني؟

– ذكراه. أجل ذكرى "إدوارد"! لقد كنت دائمًا أرى فيه وجه الشهيد.

واستغرق "هورشام" في تفكير عميق. ثم قال:

– بودي لو اتصلت بـ"جوتليب". قد يكون في عداد الموتى. إنه خير من يعمل معي ومعك يا "ليزا" فلتستعيدي الأمانة من البنك.

فقال السيد "روبنسون" معقبًا:

– إن البروفيسور "جوتليب" ما زال على قيد الحياة في مؤسسة "بيكر"، في "أوستن"، بـ"تكساس".

وتساءلت "ليزا":

– ماذا تحاول أن تقوم به؟

– مشروع "بينفو" بكل تأكيد! وسابعثه من جديد إحياء لذكرى "إدوارد إلتامونت" الذي قضى نحبه في سبيله، ألم يكن هذا ما حدث؟ يجب ألأ يموت أحدنا عبثًا.

*****

# الخاتمة

بعث السيد "ستافورد ناي" بالبرقية التالية لثالث مرة:

«أعدت العدة لإقامة حفل الزفاف يوم الخميس القادم بكنيسة "**سانت كريستوفر**" في "**ستونتون**" الساعة الثانية والنصف مساء. وسيكون الحفل تبعًا لطقوس الكنيسة الإنجليزية أو تبعًا للطقوس اليونانية الأرثوذكسية إذا رغبتم في هذا. رجاء الإبراق بالتعليمات. أي اسم تختارينه للتسجيل في عقد الزواج؟ ابنة أخي البالغة من العمر خمس سنوات تلح في أن تكون وصيفة شرف واسمها "**سيبيل**". شهر العسل سنقضيه محليًّا؛ لأننا سافرنا كثيرًا بما فيه الكفاية في المدة الأخيرة».

الإمضاء

مسافر إلى "**فرانكفورت**"

✽✽✽✽✽

إلى "**ستافورد ناي**"

أوافق على "**سيبيل**". كوصيفة شرف، وأقترح أن تكون العمة الكبرى "**ماتيلدا**" رئيسة شرف. وأوافق على ما أعد للزواج ولقضاء شهر العسل.

التوقيع:

"**ماري آن**"

**تمّت بعون الله**